أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

مارس ٢٠٠٠ - العدد ١٧٥





أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى
العدد ١٧٥ - مارس ٢٠٠٠





المستشارون : **د. الطاهر مكى / د. أمينة رشيد / صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس**

شارك فى هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون : **د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر / محمد روميش / ملك عبد العزيز**

- لوحة الغلاف للفنان: **إيهاب شاكر**

- الرسوم الداخلية للفنان : **مصطفى أجماع (المغرب)**

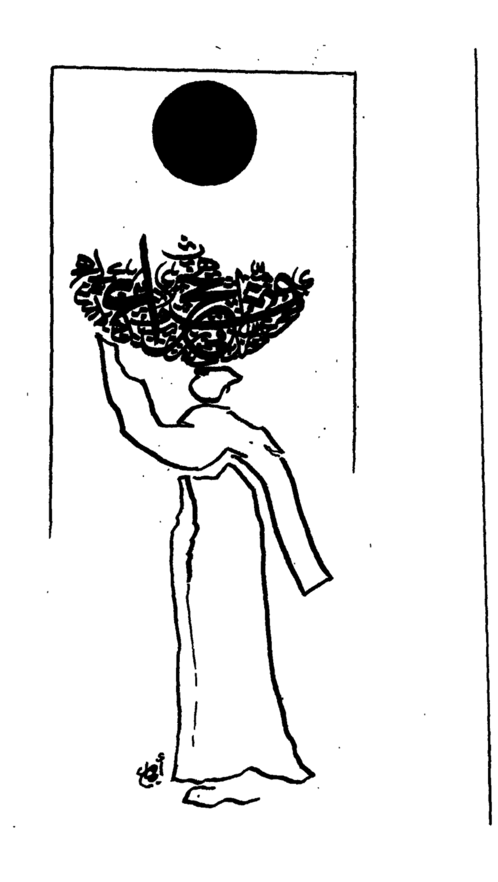
(طبع شركة الأمل للطباعة والنشر).

أعمال الصف والتوضيب الفنى: **نسرين سعيد إبراهيم**

المراسلات: **مجلة أدب ونقد ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب، الأهالى** القاهرة- ت: ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس: ٥٧٨٤٨٦٧

الاشتراكات لمدة عام : داخل مصر ٤٠ جنيها / البلاد العربية ٣٠ دولاراً - أوروبا وأمريكا -٦٠ دولاراً باسم الأهالى - مجلة أدب ونقد. **الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.**

المحتويات



أول الكتابة

واقعتان دالتان حدثتا فى الكويت متزامنتين خلال الأسابيع الماضية: الأولى هى رفض البرلمان الكويتى الموافقة على المرسوم الأميرى بمنح النساء حق الترشيح والتصويت إعمالا للمبدأ الدستورى الذى ينص على المساواة بين الجنسين، والثانية هى الحكم على الكاتبتين «ليلى العثمان» و«عالية شعيب» بالحبس لأن أدبهما يقترف الممنوع ويناوش المحرم. انها مرة أخرى المرأة كضحية للمجتمع الأبوى الطبقى المشوه الذى يسقط احباطاته على أضعف عناصره وأكثرها قابلية للانجراح. ويقدم وضع المرأة الخليجية الصورة النموذجية لوضع المرأة العربية ككل فى أكثر حالات التراجع حدة. وتبرز على أشدها تلك التناقضات بين الأدوار المتزايدة التى تلعبها النساء فى حياة المجتمعات العربية سواء كقوة انتاج أو كمجددة للجنس البشرى، وبين القيود الصارمة المفروضة عليها من مجتمع تقليدى صارم لا يرحم. عشائرى وقبلى، جمهوريا نظامه كان أو ملكيا.

ولكن الضحية تكسر صمتها وتدخل بكل قوتها فى المعركة .. أليست الكتابة إلا معركة لتحقيق الذات والافصاح عن المسكوت عنه؟.

هنا نماذج من كتابات «ليلى العثمان» و«عالية شعيب» اللتين نخصص لهما الديوان الصغير فى هذا العدد لا لكى نتضامن معهما فقط وإنما لكى نكشف أيضا بعض طاقات الابداع لدى المرأة التى يسعى التقليديون وحراس الماضى إلى محاصرتها وإخفائها كعورة وفتنة ومصدرا للشر والخطيئة طبقا للأساطير الموغلة فى القدم والساكنة فى الأعماق والتى استراح لها المجتمع الذكورى خوفا من المرأة فوصمها بكل ما هو قبيح وشرير ومميت.

فى كتابة «ليلى العثمان» و«عالية شعيب» دعوة صريحة لهدم الأساطير التى ولدت فى ليل البشرية مؤكدة دونية المرأة وتفوق الرجل ،وكأن

الثنائية البيولوجية للجنس البشرى هى أبدية لاحل لها ، وقد تراكمت عبر العصور وفى كل الثقافات أفكار وتصورات ترى فى هذا التقسيم البيولوجى أحكاما قيمية بعد أن كان الرجل فى بدء التاريخ قد فزع من قدرة المرأة على حمل الأطفال وولادتهم..

ورغم أن العلم الحديث قد راكم معرفة هائلة تحلل وتفند المخاوف القديمة إلا أن الثقافة التقليدية التى تلعب فيها الأساطير ثم الديانات جميعها دورا مركزيا ما تزال تبرر هذه المخاوف بإدعاء تفوق الرجال ودونية النساء وكونهن عورة ونجاسة ورفيقات الشيطان ..ألم تكن حواء هى التى أخرجت أدم من الجنة حيث ألحياة الخالدة والنعيم الدائم والمسرات اللانهائية وجاءت به إلى هذه الدنيا حيث الموت والفناء والشقاء والألم ؟ويظل أدم يتذكر ثأره الأبدى من حواء المشتق اسمها من الحية التى تلدغ..

ويكتب لنا الناقد عبد اللطيف أرناؤوط عن« ليلى العثمان » ومعاناة المرأة الخليجية ويكتشف فى عالمها دعوة صريحة ليتنازل الرجل الشرقى عن سلطانه وغروره ليشارك أسرته آلامها وآمالها ،. كذلك هى تثير مسائل فى غاية الاهمية بالنسبة لحرية المرأة أولها الحاجز الدينى الذى يحرم عليها أن تتجاوز ما رسمه الدين ، وثانيها الحاجز الاجتماعى .. وتظل الفتاة تحمل فى أعماقها أسوارها وقيودها أنى ارتحلت ،كما أن ليلى» هى أكثر كاتباتنا ايمانا بالتوجه الهادف ».

وتكشف الكاتبة عن ما يعتمل فى أعماق المجتمع الخليجى الصغير من تغير عميق .. بدءا من تفضيلة غيرة الابن على أمه من أبيه وتحويل الأم التى انتهكت إلى الأرض كلها .. اختلط ملحها برملها .. صارت الأفق والمرعى إلى استشراف التفسخ فى مؤسسة الزواج التقليدية والخوف الشائع من التمرد فى المجتمع الساكن .. حيث ينصح المتكيفون هذا المتمرد «ساير الأوضاع ترتاح»..

وفى ظنى أن الناقد أرناؤوط صنفها مع الذين يتوجهون توجها هادفا لأن عالمها يتضمن دائما وأبدا « أملا جديدا » .

« عالية شعيب » الشاعرة والأستاذة الجامعية تنبش بدورها فى أعمق الأعماق .. فتعرى الزائف وتبحث عن الحقيقى الجميل عارفة بالقلق الصوفى الذى يبحث عن مطلق :

كذبوا حين قالوا

يثمر البترول فرحا

***

ندعو المفكرين والسياسيين الديمقراطيين من الرجال والنساء لخوض معركتى حرية الفكر والتعبير وحرية المرأة معا ، صحيح أن الصراع بين القديم والجديد لن تحسمه الأفكار وحدها ، بل يضاف إليها مستوى التطور الاجتماعى والتقدم الانتاجى ، لكن رواج الأفكار التحررية بكل السبل أساس لا غنى عنه لنا نحن العرب والمسلمين حتى نخطو للأمام ولا نخرج من التاريخ . ويبرز موضوع الهجرة العزبية فى مستواها المادى المباشر والمهين والعزلة فى مستواها الروحى العميق فى كل من قصيدة سعدى يوسف عن العراقيين المنفيين.

ما طعم الحياة، إذا نسينا أننا بشر

لنا وطن

وزاوية وأسماء ،وما معنى الحياة إذا

غدت دكان محتالين

يا أبناء اخوتى العراقيين؟.

وفى قصة « تولوز » لصموئيل شمعون حيث تتحول باريس المملوءة بالمهاجرين من الوطن العربى وافريقيا وآسيا ويوجوسلافيا إلى عدو لدود وهمى ، والعاطلون عن العمل فيها يعرفون مباهج الحياة وملذاتها وهم

الاقرب إلى رحمة الله و حنانه كما يقول سائح أمريكى عابر..

ويلتقى جزائرى وعراقى وهما صديقان حميمان وكأن مأساة الوطن العربى فى ذروتيها العراقية والجزائرية تتجسد ،حيث الهوان الإنسانى تحت الحصار فى العراق ، ومذابح وحشية فى الجزائر ضد المواطنين العزل والنساء والمفكرين .. إنه التفسخ العربى مكثفا وصافيا إن جاز التعبير..

***

وكل ما أحاول أمد أيدى

ألاقى رجلى بتبتعد

يقول الشاعر «جمال حراجى».

فهل هو اليأس والعزلة مرة أخرى ،والحياة المشيئة الباردة؟ .. ويقول «هاشم شفيق»:

بائع الحدقات أنا

ولدى عيون ملونة

من زجاج شفيف

فمن يشترى مقلة برغيف

أما «عبد القادر عيد عياد» فيقول:

دموع انسحبت منى

محشورة فى النني

هل يبدو الحزن ثقيلا فى عددنا هذا ،أثقل مما يجوز لنا فى هذا الزمن المنهك؟ ولكن عذرا، انه وطن القمع والحصار من المحيط إلى الخليج كما فى المنافى :

الوطن بستانى حاذق

كل صباح يشذب المواطنين

واحدا واحدا

حتى لا تستطيل أحلامهم

كما يصورنا لنا الوطن الشاعر سعد سرحان من المغرب.

***

انفتح بابنا الجديد «جر شكل» الذى قصدناه خفيفا واستراحة طيبة على عوالم جديدة، وجذب إليه أصدقاء كثيرين وأخذ يثير قضايا جوهرية شأن هذا القبطى المسلم الذى تخصص فى الزخارف الاسلامية الذى التقاه «خالد سليمان»، أو الكبار الذين أوغلوا فى الحكمة كما يراهم الشاعر فريد أبو سعده ويجسدهم الدكتور فؤاد زكريا فى معركته مع محمود أمين العالم حول رئاسة لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة« فالغضب قد جعل الدكتور فؤاد زكريا يتخبط كطائر يحاول الخروج من نفق مظلم».

«إنها الآلية الغريبة التى تحكم العلاقة بين المثقف والسلطة، هذه المراوحة المعذبة للمثقف بين التعرض والتعريض والمراوحة العذبة للسلطة فى الهجر والوصل».

وبهذه المناسبة فإنَ موضوع المثقف والسلطة هو أحد موضوعاتنا الرئيسية التى سننبشها على مدار القرن العشرين فى محاولة لاستخلاص أفكار أولية ثم أساسية عن طبيعة هذه العلاقة وتحولاتها فى المراحل المختلفة باعتبارها علاقة محورية لا فحسب فى إنتاج الفكر وإنماأيضا فى تحديد أدوار المثقف سواء بتلجيمه أو إطلاق إمكانياته وقدراته الابداعية.

وننشر فصلا جديدا من الدراسة التى ترجمها لنا الناقد أحمد يوسف من كتاب السينما الاسرائيلية للناقدة التقدمية «إيللا شوهات»، فنجد أن المقصود من هذه السينما لم يكن فقط صنع أفلام تتوجه للدعاية الصهيونية من خارج البلاد، ولكن أيضا تحقيق التكيف الاجتماعى للمهاجرين الجدد، وتعميق احساسهم بوجودهم فى الوطن..

وبتحليل فيلم «التل ٤٢ لا يجيب» نجد أن رسالته الأساسية تكمن فى

تخليص وتحرير اليهود الشرقيين من خطيئتهم الأولى ألا وهى كونهم ينتمون إلى الشرق وهو الخلاص الذى يتحقق لهم باشتراكهم فى الحرب ضد العرب.

ولعلنا نجد مصداقا لهذه الرسالة الوحشية فى التصريحات الأخيرة لوزير الخارجية الاسرائيلى «دافيد ليفى» وهو يهودى شرقى مغربى حين وقف فى الكنيست يعلن بصوت جهورى يحرض على قتل اللبنانيين قائلا: «الدم بالدم والنفس بالنفس والطفل بالطفل».

إن فى قراءتنا للثقافة الصهيونية فى كل تجلياتها سينمائية كانت أو أدبية إضاءة للجوانب الخافية للصراع العربى ضد المشروع الصهيونى لابد من تعميقها باستمرار حتى نعرف التركيبة النفسية والثقافية العنصرية لعدونا على خير نحو..

وبعد سوف يأتيكم هذا العدد ناقصا مواد أساسية لأن التكنولوجيا خذلتنا فقد فوجئت «نسرين» بأن الكمبيوتر الذى جمعنا عليه مادة العدد قد إبتلعها دون أثر، وكان علينا بعد إصلاح الآلة الغامضة أن نعيد جمع ما أسعفنا به الوقت .. ليكون هذا العدد.

ومرة أخرى نجد أنفسنا أمام المعرفة التكنولوجية الجديدة، التى ما تزال بعض أسرارها غريبة علينا ولم نتملكها بعد تملكا حقيقيا..

فهل تعذروننا لهذا التقصير ولكل أشكال التقصير الأخرى ؟ كلنا أمل فى ذلك.

المحررة

شعر

القصيدة الخامسة

سعدى يوسف

زمراً ثقالاً ، أو فرادى ، مثل ما يمضى العراقيون، يمضي فى متاهة لندن الصغرى العراقيون ، لم يتصدقوا حتى بومضة دمعة أو شمعة .. لم يصدقوا نبضاتهم قولا ، كانهموا جواميس القيامة ،

هل أقول لهم : كذبتم ؟

لم تعودوا ، مثل ماكنتم عماليق القرى ، ياإخوتى : أنتم هنا الغرباء، والبؤساء ، أيتام بمأدبة مسخمة ، وكيس قمامة فى أسفل البرميل . لا! لاتيأسوا ! فلقد يمر بكم ، وللحظة ، تجار خيبر ، ثم تدخل عصبة النخاس ، ترفع فى مقر السوق مصطبة ، ويرتفع النداء من المنادى : كم ؟ ويأتى المشترون ، وأنتمو تتمهلون ، سذاجة ، فى السوق ، تنتظرون معجزة ، ولستم تنظرون . كأنكم ، حقا ، جواميس القيامة فى مناقعكم ، وأكياس القمامة...

هل سيخرج بينكم طفل عليكم ؟

هل سيرفع صوته ، حراً ، كصوت الطفل

يخبركم بما لن تسمعوا ؟

.....

....

....

ياإخوتى ....

لسنا هنا فى جنة المأوى

ولا فى حانة البحر القديمة

....

ربما كنا مع الماضين فى كف السراب ،

وربما كنا مع الغرقى الذين تخلعت ، مزقا ، سفينتهم ...

يطفون كالأحياء

كالثملين بالماء ...

السفينة لم تعد حتى خطوط سفينة
لكنهم يطفون منتفخى الوجوه على مرايانا،
ثقالا فى الصباح ، ومثقلين بما يخدر فى المساء ..
لمن إذا نمضى ؟

وماذا نرتجى فى لندن الصغرى ، وفى قنوات هولندا ، وفى ثلج السويد ، وذل كوبنهاجن ؟ النرويج ، أو غابات فنلندا ؟ وماذا سوف نبنى فى ندى سيدنى ، ومنزلقات مونتانا ، وعبر شمالنا الكندى ، والمنفى الذى يستغرق المنفى؟ ترى ، هل سان دييغو ، ساكرامنتو ، أصفهان ، أو حديث الليل فى ديترويت ماجئنا له فى هذه الدنيا ؟ وهل صدام الفرج صخرتنا التى سنظل ننطحها بأوردة الجباه ، ووردة البارات ننطحها لننسى بعد حين أننا صرنا لها الاتباع ..

إخوتى العراقيين !
إخوتى الآلى وطأوا بأحذية من الإذلال والتسآل
أغنية العراقيين ، شامتها ، وتبر جبينها الوضاء:
ماطعم الحياة ، إذا نسينا إننا بشر لنا وطن .
وزاوية وأسماء؟ ومامعنى الحياة إذا غدت دكان محتالين ..
ياأبناء إخوتى العراقيين ؟

......

فلنذرف ولو شمعاً ، ولو دمعاً من التمساح ...
ولنحفر عميقا فى ملابسنا
وفى راحاتنا ..
فلعلنا نلقى ، مع النكران ، أنفسنا
ونعرف مانريد ...

دراسة

كتاب «السينما الاسرائيلية: الشرق / الغرب وسياسات التمثيل» (٣)

تأليف: إيللا شوهات

ترجمة: أحمد يوسف

الفصل الثانى: السينما الاسرائيلية بعد ١٩٤٨، وأفلام «الشجيع» الاسرائيلى

لم تشهد السينما الاسرائيلية أية أفلام روائية فى الفترة منذ عام ١٩٣٣ (مع ظهور فيلمى «عوديد التائه» و «الصابرا») ،وحتى إعلان دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وذلك بسبب توجه الجانب الأكبر من الصناعة السينمائية إلى إنتاج الأفلام التسجيلية والدعائية. لكن صناعة السينما الإسرائيلية شهدت منذ عام ١٩٤٨ نشاطا وتنظيماً كان المقصود منهما ليس فقط صنع أفلام تتوجه للدعاية الصهيونية فى خارج البلاد ، ولكن أيضا تحقيق التكيف الاجتماعى للمهاجرين الجدد ، وتعميق إحساسهم بوجودهم فى« الوطن» .وعلى الرغم من أن الموقف السياسى قد شهد تطورات معقدة ما بين ظهور الأفلام الروائية الأولى وإعلان الدولة ،فإن الصورة السينمائية فى الأفلام الروائية ظلت على حالها فى التعبير عن الأيديولوجيا الصهيونية بشكلها البدائى الفج.

فحتى نهاية الستينات، أولت الأفلام الاسرائيلية اهتمامها الأساسى لصنع صورة أسطورية للبطل الإسرائيلى ، سواء كان من أبناء جيل الصابرا

،أو أحد أفراد المستوطنات اليهودية ،أو جندياً ،وهو البطل الذى يعيش أزمة الصراع الإسرائيلى العربى من خلال نمط« أفلام الحرب » التى تعكس جوهر الرؤية الصهيونية سواء على مستوى الشكل أم المضمون.

فيلم « التل ٤٢ لا يجيب » (١٩٥٥)

خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات ،كان معظم المنتجين والمخرجين والفنيين فى صناعة السينما الإسرائيلية من الأجانب أو المهاجرين الجدد، مثل المخرج البريطانى ثورولد ديكنسون (صاحب فيلم « التل ٤٢ لا يجيب»)، واالمخرج الأمريكى اليهودى لارى فريش (صاحب فيلم« عمود النار » ،والمخرج العراقى اليهودى نورى حبيب (صاحب فيلم « بلا وطن ») ، والذين ساهموا جميعا فى تكوين البدايات الأولى لصناعة سينما روائية إسرائيلية.

ولقد وصل ثورولد ديكنسون إلى إسرائيل بدعوة من الوحدة الحربية للسينما (التى تأسست عام ١٩٤٨ بواسطة قوات جيش الدفاع الإسرائيلى بهدف إنتاج أفلام عسكرية تعليمية) ،وهكذا أخرج ديكنسون فى إسرائيل فيلمه التسجيلى « الخلفية الحمراء » (١٩٥٥) ، الذى بدا فيه تأثره بالسينما التسجيلية ومدرسة جريرسون ،وهو التأثر الذى سوف يبدو أيضا فى بعض مشاهد فيلمه الروائى الإسرائيلى « التل ٤٢ لا يجيب »(١٩٥٥) . تدور أحداث الفيلم خلال حرب عام ١٩٤٨ ، ويحكى القصص الشخصية لأبطاله المقاتلين الأربعة: الأيرلندى، والأمريكى اليهودى ، والجندى من أبناء الصابرا ،والممرضة المنحدرة من أصول يهودية شرقية . إن مهمة هؤلاء المقاتلين هى الدفاع عن تل استراتيجى على مشارف مدينة القدس ،وهم يذهبون فى مهمتهم الأخيرة ليحكى كل منهم- من خلال الفلاش باك- عن جذور إيمانه بالأيديولوجيا الصهيونية، لهذا فإن الفيلم يتبنى البناء الدرامى المؤلف من فقرات روائية متتالية ، لكى يوحى بأنه يجسد حرب إسرائيل وهذا هو البناء الدرامى الذى لا يتكرر فى أفلام الحرب الإسرائيلية.

ومثل النزعة التسجيلية التى تظهر فى فيلم روبيرتو روسيلليني

« بايزا »(أو أولاد البلد- ١٩٤٦) ، يبدأ فيلم « التل ٤٢ لايجيب » بصورة لخريطة إسرائيل مع تعليق بصوت رجولي يوضح حركة القوات العسكرية على الجبهات المختلفة . وهي البداية التي توحي للمتفرج بأن الفيلم « يروى الحقيقة »، وأنه يوثق لهذه الحقائق» ،مع أنه بالطبع يتبنى تماما وجهة النظر الإسرائيلية . وإن الأسهم التي تشير على الخريطة إلى مصادر الهجوم العربي المتعددة من كل الأنحاء تؤكد فكرة أن إسرائيل كامنة تعيش في حالة حصار ،وهي الفكرة التي سوف يعيد الفيلم التأكيد عليها بكل الوسائل السينمائية . ينتقل الفيلم بعد ذلك إلى تقديم شخصياته الأربع، الواحدة بعد الأخرى ، نراهم للمرة الأولى على الشاشة في لقطات قريبة وهم موتى فوق التل ، بينما نسمع التعليق من خارج الكادر وهو يخبرنا بأسمائهم ، ويأخذنا -من خلال ثلاثة مشاهد فلاش باك-إلى سرد حكاياتهم قبل أن يبدأوا تلك المهمة التي لقوا فيها حتفهم ،حتى تنتهي تلك الحكايات وهم يدافعون دفاعا يائسا عن التل (وحيث يكون المتفرج قد توحد وتعاطف معهم في قضيتهم، وفي الصباح التالي يصل ضابط فرنسي من قوات الأمم المتحدة ، بصحبة مسئول إسرائيلي وآخر عربي ، اللذين يحاول كل منهما التأكيد على أن التل من نصيب الجانب الذي يمثله ،فالعربي يقول إن التل ليس من حق إسرائيل لأن محاربيها قد ماتوا قبل أن يتمكنوا من السيطرةعليه ، لكن ضابط الأمم المتحدة يكتشف أن يد الممرضة اليهودية تمسك بعلم إسرائيل ، لذلك يعلن للطرفين أن التل من حق إسرائيل.

ولكي يكمل دائرته الروائية ، يعود الفيلم في النهاية إلى جثث « الأبطال » ،حتى يؤكد على ذروة توحد المتفرج معهم ومع قضيتهم ،بعدما كان قد شاهدهم في مشهد البداية على نحو محايد قبل أن يعرف حكاياتهم . وإن مصرع أبطال الفيلم (مثله في ذلك مثل الأفلام البطولية الوطنية غير الإسرائيلية، كفيلم « روما مدينة مفتوحة- ١٩٤٥ »أو « معركة الجزائر » -١٩٦٦) يرمز إلى مولد « الأمة » ، التي تمثل في هذا النوع من الأفلام البطل الحقيقي

للفيلم ،كما يمثل الموت داخل السياق الإسرائيلى فكرة التضحية بالذات ،والتى نسمعها بشكل تقريرى مباشر فى عبارات مثل« لقد وهبوا بموتهم الحياة لنا » . إن النزعة التعليمية الواضحة التى تهدف إلى توحد المتفرج مع حكايات وتاريخ هؤلاء المقاتلين الصهاينة تتجسد فى ذلك التناقض الفاضح فى منحهم كل الاهتمام داخل سياق الفيلم، فى مقابل التجاهل التام لوجود العرب وقضاياهم، مثلما تفعل أفلام « الويسترن » الأمريكية ،عندما يكون « العدو » بلا اسم أو هوية ،وإنما هو تجسيد شديد التجريد للشخصية الشريرة الخالصة . غياب أى تاريخ لأى شخصية عربية فى مثل هذا الفيلم يوحى بأنه لا وجود لأية هوية قومية للعرب ،وهو الأمر الذى تراه فى أفلام أخرى تناولت حرب عام ١٩٤٨ مثل « عمود النار » أو « لقد سار عبر الحقول » أو « اعطنى عشرة رجال يائسين » حيث تغيب الشخصيات العربية تماما أو أنها حين تظهر- فى شكل جندى عربى -فإنها تصبح رمزاً للعنف والتهديد بالموت ،أو ربما تتجسد أيضا فى لغم زرعه العرب فى الأرض لكى يقتل حبيبه الشجيع الإسرائيلى.

وإذا كان هناك مسئول عربى يظهر فى مشهد التنازع حول التل ،فإنه يؤكد الانطباع بالحصار المرير الذى تعانيه من إسرائيل ، وبذلك فإن الوظيفة السردية التى يقوم بها العرب فى أفلام الحرب الاسرائيلية تتلخص فى أنهم تجسيد للهجوم على« الأبطال » الصهاينة الذين ينبغى على المتفرج أن يتعاطف معهم ، فنحن لا نرى العرب أبدا فى لقطة قريبة ، وإنما من خلال لقطات عامة بعيدة ، وبأعداد هائلة من الجنود والدبابات، يرتدون « الكوفية » ويمسكون بالبنادق ،وحيث تكون الكاميرا دائما -وبالمعنى الحرفى للكلمة- « فى جانب الجنود الاسرائيليين » ،مما يدفع المتفرج فى كل الأحوال أن يأخذ بدوره الموقف المؤيد للشخصيات الاسرائيلية.

وعلى الرغم من أن أحداث الفيلم تدور خلال فترة فرض الحماية البريطانية على فلسطين ،وبالتحديد فى السنوات التى شهدت الهجرة غير

الشرعية لليهود الأوربيين إلى فلسطين فى أعقاب الاضطهاد النازى، وحين كان ينظر اليهود للبريطانيين على أنهم أعداء تقوم الحركات اليهودية السرية بمقاومتهم ،على الرغم من ذلك كله فإن الفيلم يمنح البريطانيين وجودا أكبر من العرب ، وقدراً من التعاطف معهم ،وفى الوقت الذى يظل فيه العرب هامشيين تماماً . فهناك مشاهد عديدة يمنح فيها الفيلم للبريطانيين لقطات قريبة وجملا من الحوار ، مما يجعل المتفرج قريبا من التوحد معهم ، ففى أحد المشاهد الأولى نرى طفلا يهوديا يبكى ، لتتوقف سيارة عسكرية، ينزل منها جندى بريطانى يولى الطفل اهتماما كبيراً ،ويسأله عن سبب بكائه . فتجيبه امرأة بأنه يريد العودة إلى منزله ، فيقطع الفيلم إلى لقطة قريبة للجندى البريطانى وهو ينظر إلى بعيد ويقول : «وأنا أيضا ، وأنا أيضا » .وبهذا فإن المشهد يوحى بطيبة قلب الجندى البريطانى ، كما يوحى أيضا بأنه ليس سعيداً بوجوده فى فلسطين . وقد تعود هذه الصورة المصقولة الناعمة لدور قوات الحماية البريطانية إلى كون المخرج بريطانيا، لكن الأهم هو أنها تشير إلى العلاقات الدافئة والحميمة التى ربطت بين إسرائيل وبريطانيا فى الفترة التى تم فيها صنع الفيلم .(ففى عام ١٩٥٦) ، قامت إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بالعدوان على مصر ، مما يؤكد مرة أخرى على أن الاستراتيجية الاسرائيلية تضرب بجذورها فى النزعة الاستعمارية الغربية).

ولتقارن أيضا بين الغياب العربى فى الفيلم ، والاهتمام الواضح بتصوير «الدروز » ،فبينما نرى صوراً لقرية درزية ، نسمع التعليق من خارج الكادر وهو يخبرنا بأنه على الرغم من بعض التشابه بين الدروز والعرب، فإن الدروز لهم ديانتهم الخاصة ، ثم نرى امرأة درزية تغنى بالعبرية والعربية ، قامت بدورها المغنية الاسرائيلية الشهيرة ، ذات الأصول اليهودية اليمينية ، شوشانادامارى، وأن هذا الاختيار لمغنية ذائعة الصيت لزاداء هذا الدور يعنى أن الفيلم يقصد إلى تصوير الدروز على أنهم «طيبون » ، وهو ما يعكس

أيضا الموقف الرسمى للسياسة الاسرائيلية تجاههم ، والتى تعاملهم على أنهم من الحلفاء الذين يسمح لهم بالخدمة فى الجيش الاسرائيلى.

وإذا لم تكن هناك فى الفيلم أى شخصية عربية تحمل اسما أو هوية أو قومية ، فإن الجنود الاسرائيليين -وحلفاءهم- يظهرون على الشاشة كشخصيات من لحم ودم ، يمثل تطور وعيهم بالعمل الصهيونى جزءا من التاريخ الجماعى الوطنى ،وعلى سبيل المثال ، فإنك ترى فى الحكاية الثانية- التى تدور حول الأمريكى اليهودى- مشهدا يتناقش فيه الأمريكى مع عربى حول حمام السباحة، فيقول الأمريكى- الذى كان لا يزال حتى تلك اللحظة لا يؤمن تماما بالأفكار الصهيونية -أن البريطانيين يساعدون العرب بسبب حقول النفط ، بينما لا يملك اللاجئون اليهود وطناً يذهبون إليه غير هذه الارض ، لينتهى المشهد عندما يدفع العربى الأمريكى (اليهودى) إلى حمام السباحة ،وهو ما يجسد المزاعم الاسرائيلية الدائمة حول الخوف من حالة الحصار بين بحر حقيقى، وبحر مجازى من العرب ،كما يشير إلى ما كانت تردده الدعاية الاسرائيلية آنذاك- الأفلام التسجيلية ،والبيانات الرسمية،وحتى كتيبات السياحة-بأن العرب يريدون إلقاء اسرائيل فى البحر.

وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت تحاول أن تصور نفسها دائما على أنها النقيض لعقلية «الجيتو» (حيث كان اليهود فى أوروبا يعيشون فى أحياء مغلقة عليهم) فإن سياستها تحمل الكثير من تلك العقلية ذاتها ،فى تأكيدها على حالة الحصار التى تعيش فيها ، وأنه «لا خيار» أمامها إلا أن تحيا تلك الحالة من الاحساس «البطولى» الذى يمتزج بالقلق . إن ذلك «اللاخيار» هو السر وراء النزعة البطولية المزعومة التى تمد بها إسرائيل حقها فى الوجود ، بينما هى فى الوقت ذاته تنكر على العرب وجودهم فى فلسطين . وإذا كان العرب يغيبون بالفعل فى الأفلام الإسرائيلية ، فإن هذا ليس إلا انعكاسا للأفكار الصهيونية التى رددتها جولدا مائير بشكل علنى وصريح

فى تأكيدها على أنه ليس هناك شئ اسمه الشعب الفلسطينى،كما أنه انعكاس تتضمنه كل السياسات الإسرائيلية التى تنكر على الشعب الفلسطينى حقه فى وطنه.

إن تلك الصورة الشريرة للعرب– الذين تصورهم السينما الإسرائيلية على أنهم لا يملكون تاريخا أو قومية أو حضارة –تتجسد فى أفلام «التل ٤٢ لا يجيب» فى أن هجوم القوات العربية ينتزع من سياقه ، فتراه على الشاشة هجوماً بلا منطق أو دفاع ؛ بينما يكون المتفرج متعاطفا كل التعاطف– من الناحية النفسية أو التاريخية –مع الموقف الإسرائيلى ،على نحو ما ترى فى المشهد الذى يسبق المعركة حول مدينة القدس، فالقائد الاسرائيلى يلقى خطابا ملتهبا حول عودة اليهود إلى« الأرض المقدسة» (التى لا يثير الفيلم أى شك فى أنها يهودية مائة فى المائة) ، ثم تطوف الكاميرا فى حركة بانورامية طويلة على حوائط المدنية القديمة ، تعقبها لقطة بانورامية أخرى عبر طابور طويل من الجنود الاسرائيليين ،وكأن الفيلم يصهر التاريخ المتجمد لألفين من الأعوام فى هذا التتابع،فالصورة وخطاب القائد العسكرى فى الجنود يرمزان معاً إلى إن إسرائيل سوف تبعث من جديد ، باتحاد الجنود اليهود وحوائط المدينة القديمة.

إن الشخصيات الرئيسية فى فيلم «التل ٤٢ لا يجيب» تقوم جميعها بدور التبرير والتفسير للأفكار والسياسات الصهيونية . والجذور الغربية لمعظم هؤلاء الأبطال –الأيرلندى ، والأمريكى اليهودى ، وابن الصابرا ذى الأصل الأوربى –تهدف إلى أن تكون وسيلة لتقريب المغزى التعليمى الصهيونى للفيلم من المتفرجين الغربيين الذين يجدون أنفسهم وقد وقفوا إلى جانب الأبطال (نحن) ، ضد العرب(هم) . بل إن المغزى الصهيونى يتجسد أيضا فى الاختيار المتعمد لتوالى الفقرات التى تحكى حكايات الأبطال، فالفيلم يبدأ بقصة الإيرلندى ، ثم اليهودى الأمريكى ، ثم ابن الصابرا، وكأنها تسجل لتطور الوعى الصهيونى لأبطالها– وللمتفرج أيضا – من الحياد التام إلى

الالتزام الكامل .كما أن هذا التنوع فى الشخصيات- ذات التاريخ المختلف والأصول العرقية المتعددة- يوحى على السطح بنوع من الديمقراطية فى عرض وجهات نظر مختلفة ، لكنها تلتقى فى النهاية على تبنى وجهة النظر الإسرائيلية.

فى الفقرة الأولى ، التى تقدم لنا حكاية الأيرلندى ، يبدأ الفلاش باك فى الفترة التى سبقت إعلان دولة إسرائيل ،حين كان المهاجرون اليهود الناجون من الاضطهاد النازى يتسللون عبر البحر بشكل غير قانونى إلى أرض فلسطين ، وحين كان الرجل الأيرلندى يعمل فى شرطة سلطات الحماية البريطانية ، لكنه يقع فى غرام فتاة صهيونية من أبناء الصابرا خلال ملاحقته لليهود المشتبه فى اشتراكهم فى حركات المقاومة السرية . وبعد انتهاء مدة تجنيده ، وبعد رحيله عن البلاد ، يعود باختياره إلى فلسطين ، ليس فقط لكى يكون إلى جانب حبيبته الصهيونية (التى كانت قد أصبحت جندية فى الجيش الاسرائيلى) ، وإنما أيضا لكى يشترك فى القتال ضد العرب إلى جانب الاسرائيليين . إن هذا التحول الذى عاشه الجندى البريطانى حتى أصبح جنديا يقف فى صف الصهاينة ليس إلا رمزاً يوحى بتجنيد الغرب لصالح القضية الاسرائيلية، وهو ما يعنى أن العدو الحقيقى للصهيونية ليس البريطانيين، وإنما العرب. من ناحيةأخرى، فإن كون الرجل أيرلنديا يشير إلى التوازى بين وضع ايرلندا تحت حكم انجلترا ،وبين وضع اليهود تحت حكم قوات الاحتلال البريطانية فى فلسطين ، وإن تضحية الرجل الأيرلندى بحياته من أجل إسرائيل تخلق نوعا من الارتباط بين المتفرج الغربى والقضية الاسرائيلية .بل إن المتفرج الاسرائيلى نفسه خلال تلك الفترة- فى الخمسينيات ،حين كان المهاجرون اليهود يصلون من جميع أنحاء العالم- سوف يصبح أكثر إيمانا بالصهيونية وبالوحدة الوطنية وبالمسئولية الجماعية عندما يقولون له فى الأفلام إن الجميع- حتى غير اليهود- يضحون بحياتهم من أجل إسرائيل .كما أن موت الرجل الإيرلندى

سوف يخلق نهاية رومانسية مثالية لتلك العلاقة المعقدة بين المرأة اليهودية والرجل المسيحي ،وهو الأمر الذى تجده فى العديد من الأفلام الأمريكية الهوليودية خلال «حقبتها» الاسرائيلية ، مثل (١٩٦٠) و«جوديث» (١٩٦٥) و «إلق ظلاً عملاقاً» (١٩٦٦) ، ولكن الأفلام الهوليودية قدمت تنويعا جديدا لقصص الحب بين شخصيتين من ديانتين مختلفتين ،ففيلم «الخروج» على سبيل المثال يحتفى بتحول الوعى لدى امرأة أمريكية مسيحية تصبح ملتزمة بالافكار -الصهيونية والقضية الاسرائيلية عندما تعشق جندياً من أبناء الصابرا (يلعب دوره الممثل الأمريكى بول نيومان) . لذلك فإن معنى «الخروج »- ذى الدلالة التوراتية لخروج اليهود من مصر- يكتسب بالنسبة لهذه البطلة دلالة خروجها الروحى من حالة الاغتراب ، لتذوب كمهاجرة وسط حشد هائل من البشر تجمعها وتجمعهم قضية واحدة، وهو ما يعنى أيضا أن الوعى الجمعى الأمريكى لم يعد ينظر لليهود على أنهم أقلية من اليهود التائهين ، وإنما أصبحوا أمة «طبيعية» لها وطنها الخاص .من جانب آخر، فإن اختيار النجم بول نيومان بالتحديد- بملامحه الأمريكية الخالصة- لكى يلعب دور ابن جيل الصابرا ، سوف يعمل على محو تلك الصورة السلبية لليهودى فى الوعى الجمعى لدى المسيحيين الغربيين ، بل يجعل هذا اليهودى معادلاً للبطل المنشود للحلم الأمريكى ،وبهذا فإن فيلم «الخروج» يوحى بأن «التجربة الاسرائيلية» قد تم «تطبيعها» ،حيث أصبح اليهودى شخصا طبيعيا لا تستطيع أن تعرف أنه يهودى بمجرد أن تراه.

أما الفقرة الثانية من فيلم «التل ٤٢ لا يجيب» فتسجل لتحول اليهودى الآمريكى إلى الإيمان بالصهيونية ،وهى التيمة التى سوف تصبح المحور الرئيسى فى الفيلم الهوليوودى «إلق ظلا عملاقا» ، بينما سوف يبدأ الفيلم الاسرائيلى «عمود النار» قصته بهذا اليهودى الأمريكى وهو مؤمن ايمانا كاملاً بالصهيونية . لكن تحول الوعى عند اليهودى الأمريكى فى« التل ٤٢ لا يجيب» يحدث عبر مراحل متوالية فى الفلاش باك المخصص له ، والذى يدور

أثناء زيارته لمدينة القدس ، قبل إعلان دولة إسرائيل- حيث يشهد هجوما مفاجئا من العرب الذين يقذفون الحجارة على مكتب للسياحة يتصادف أن يكون موجودا به . وشيئا فشيئا ، يستوعب موقف «اللاخيار» الذى يرفعه الصهاينة فى فلسطين . وبعد إعلان الدولة ، يلتحق بالجيش لكى يحارب فى إحدى النقاط المهمة من حرب ١٩٤٨ ،وهى نقطة القتال حول مدينة القدس القديمة .وفى الحقيقة فإن هذه المدينة الأسطورية التى يتحدث عنها الصهاينة سوف تشهد تحول اليهودى الأمريكى إلى الصهيونية تحولا كاملاً ،حيث يشعر أنه وجد جذوره اليهودية القديمة، فعندما تقع المدينة فى أيدى الأردنيين ، تسود حالة من الحزن على اليهود الذين يجدون أنفسهم مضطرين للخروج منها ، فى مشهد يحشد فيه الفيلم قدراً كبيراً من الدراما ،من خلال الموسيقى الأوركسترالية واللقطات العامة الطويلة التى تصور اليهود وقد حمل بعضهم التوراة -وهم يسيرون بين الدخان والنار ،وحيث يصطنع الفيلم الالتقاء بين اليهود المتدينين وغير المتدينين على هدف واحد، عندما تتماسك يد الحاخام اليهودى مع اليهودى الأمريكى (الذى كنا قد رأيناه فى مشاهد سابقة يجادل الحاخام فى تشكك واضح) ،مما يوحى بتضامن اليهود من كل بلاد العالم ،ومن مختلف المواقف الدينية ، وذلك هو أحد الأهداف الصهيونية التى تسعى -وهى الحركة السياسية الدنيوية -إلى استيعاب وتطويع المفاهيم الدينية بداخلها ، بهدف كسب القطاع الأكبر من اليهود إلى صفها.

تركز الفقرة الثالثة على حكاية جندى الصابرا ،والتى تدور فى الجزء الأكبر منها فى الجبهة الجنوبية ،حيث كان اليهود يحاربون القوات المصرية . إن جندى الصابرا يظهر على الشاشة على نحو شديد الإنسانية ،حتى أن الشفقة تأخذه بأعدائه ، فهو يرى جنديا جريحا يفترض أنه مصرى ، لكنه يكتشف لاحقا أنه من النازيين الألمان الذين يحاربون اليهود إلى جانب العرب (!!) ،غير أن جندى الصابرا لا يبدى له كراهية ، وإنما يستمر فى

رعايته وتضميد جراحه .وفى أحد مشاهد الفيلم، يتساءل جندى الصابرا بشكل له مغزاه «إن هذا الألمانى النازى ليس إلا واحدا ، ترى كم عدد النازيين هناك؟ » . بما يوحى أن النازيين يحاربون فى الجيوش العربية ، وأن الاسرائيليين لا يملكون خيارا إلا الحرب ،لأنهم لن يسمحوا لآلة التعذيب الألمانية أن تسحقهم مرة أخرى ،فكأن الفيلم يجسد صورة اليهودى الذى خرج من الهولوكست مثل العنقاء التى تحترق فى النار (فى الغرب) ، لكنها تعود من رمادها إلى الحياة من جديد (هذه المرة فى الشرق) ، لكى تواجه خطرا جديداً.

وقد عادت أفلام اسرائيلية عديدة إلى الإيحاء- المتضمن أو الصريح- بأن هناك تعاوناً بين العرب والنازيين خلال حرب ١٩٤٨ ، مثل فيلم« عمود النار » للمخرج لارى فريش ، الذى يحكى قصة يهودى نجا من الهولوكست ، لكنه يتذكر مداخن محارقها عندما يرى « عموداً من الدخان » يتصاعد من دبابة محترقة .كما أن هذه التيمة عادت كثيرا فى أفلام اسرائيلية أمريكية مشتركة ، مثل فيلم « عملية القاهرة » (١٩٦٥) ، الذى يحاكى فيه صانعه ميناحيم جولان أفلام جيمس بوند ، فيحكى قصة عالم عجوز وآخر شاب من الألمان، يعملان لصالح المصريين بهدف صنع صواريخ نووية يمكن بها مهاجمة إسرائيل . ليتلاعب على تقدم الألمان وتخلف العرب ،حيث أظهر الصورة النمطية التى تظهر فى بعض الأفلام الغربية عن العربى الغبى الذى يثير الضحك لبلاهته ، بقدر ما يثير الكراهية للشر المتأصل فيه وفى فيلم آخر لجولان ،هو الفيلم الموجه للأطفال« ثمانية تأتى بعد واحد » (١٩٦٤) ، يتنكر ألمانى فى هيئة عالم جامعى محترم، ليتجسس لصالح العرب على القوات الجوية الاسرائيلية (ودائما ما يكون الألمانى بالنسبة للاسرائيليين هو النازى ،خاصة فى الفترة بين أواخر الأربعينيات وبدايات السبعينيات) .كما أن فيلم « جوديث » يدور حول إمرأة يهودية (الاسم بالعبرية هو يهوديت، وتقوم بدورها صوفيا لورين) ،كانت زوجة سابقة لضابط نازى ،وها هى تنضم إلى قوات « هاجاناه » (الدفاع) السرية الاسرائيلية ، لكى تساعد فى التعرف على زوجها السابق الذى انضم بدوره إلى جانب العرب فى حربهم ضدإسرائيل ، بل إن هذا الارتباط بين النازيين والعرب قد تسلل إلى بعض

الأفلام الهوليودية التى لا تدور حول إسرائيل ،مثل« سفينة الأغبياء »، الذى يصورنا نازيا ألمانيا يمتدح العرب على أنهم « من نفس نوع الشعب الذى أنتمى إليه ».

وقد يكون حقيقيا أن العرب لم يتحولوا على أيدى النازية إلى ضحايا كما حدث مع اليهود ، ومع ذلك فإن العرب قد تعرضوا لنفس النظرة العنصرية الآرية التى تعتبر العنصر السامى عنصراً متدنيا متخلفا (فقد كانت أفلام الدعاية الألمانية خلال الحرب تستنكر على قوات الحلفاء استخدامهم للسود والبربر والعرب كجنود فى المستعمرات) . وقد يكون صحيحا أن بعض التيارات الوطنية المصرية قد نظرت خلال الحرب العالمية الثانية إلى ألمانيا على أنها حليف ، لكن هذا كان مجرد تكتيك الدافع إليه هو كراهية الاحتلال البريطانى لمصر.

(ولقد انتقد الرئيس المصرى جمال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » هذا التوجه للتحالف مع دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية). لكن الأهم أيضا أن بعض زعماء وقادة الصهيونية فى فلسطين لم يكونوا بعيدين هم أنفسهم عن إقامة تحالفات مع النازى من أجل تحقيق أهدافهم السياسية.

ومن المفارقات المثيرة أن كلا من الفريقين : الاسرائيليين الصهاينة ،والعرب المناهضين للصهيونية ، قد وقعوا- بشكل صريح أو ضمنى فى أسر الدعاية النازية التى كانت تصور الساميين على نحو مشوه ، فعلى سبيل المثال ، تجد فى العديد من الروايات الاسرائيلية -الموجهة للشباب على نحو خاص- صورة سلبية للعربى تمزج بين الملامح السامية والقسوة والعنف ،فى تلك الصورة النمطية للعربى معقوف الأنف ذى الندبة على جبينه ،وعينين مخيفتين ،وعطش للدماء ،وهى الصورة التى ظهرت أيضا فى بعض أفلام « للشجيع » الإسرائيلى ،مثل «ديناميت فى الليل» (١٩٦٥) -وهو إنتاج إسرائيلى فرنسى مشترك -حيث تنتقل سمات الصورة النمطية ليهوديى القرون الوسطى فى أوروبا إلى صورة العربى ،سارق الأطفال ذى الملامح الشيطانية .إن هذا الانتقال للملامح السامية السلبية- كما صورها الغرب- من اليهودى إلى العربى ، تشير إلى نوع من الرغبة فى أعماق اللاوعى عند

اليهودى الصهيونى ، لمحو تلك السمات عن نفسه وإلصاقها بآخر (العربى) ، فى نفس الوقت الذى تشير فيه إلى رغبته فى التوحد مع الغرب فى نظرته إلى الشرق.

وفى التحليل الأخير ،فإن الأفلام الإسرائيلية ،والأيديولوجيا الصهيونية ، تقعان فى خطأ عميق عندما تنظران إلى مقاومة العرب لإسرائيل على أنها معادلة للنزعة الأوربية المعادية للسامية ،فالفرق الجوهرى هنا يفصل بين فشل اليهود فى محاولتهم الانصهار فى المجتمع الأوروبى خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وبين رفض العرب لوجود دولة إسرائيل .فبينما لم يكن مثل هذا الانصهار اليهودى داخل المجتمع الأوروبى يمثل خسارة من أى نوع لأوروبا ،كما لم يكن يهدف إلى خلق وحدة سياسية منفصلة عن أوروبا،فإن تأسيس دولة إسرائيل يهدف إلى خلق وحدة سياسية (أوربية- يهودية) داخل أرض يسكنها العرب أصلا ،كما أنها تأتى بالتأكيد على حساب الشعب الفلسطينى، الذى كان عليه أن يدفع هذا الثمن الباهظ لرفض أوروبا لاستيعاب اليهود فى مجتمعها.

وأخيرا يأتى دور الشخصية الرابعة من شخصيات فيلم « التل ٤٢ لا يجيب » ،وهى الممرضة اليهودية من أصل شرقى ،والتى لا يعطى الفيلم أى تفاصيل عنها سوى أنها ولدت فى مدينة القدس ، لكن لهجتها وهيئتها تظهران بوضوح أن جذورها تعود إلى اليمن . والفيلم لا يتيح لها فقرة مستقلة مثل الشخصيات السابقة (على الرغم من أنها تشارك فى الدفاع عن التل) ، لكنها تظهر فى لمحة خاطفة فى خلفية مشهد القدس وكأنها ليست إلا أحد خيوط قصة اليهودى الأمريكى.وفى الحقيقةفإن الفيلم ليس لديه أية قصة ليحكيها عنها ، ويترك لنا أن نفهم تلك القصة من خلال ما لم يروه عنها الفيلم ،فالصهيونية -وهى الأيديولوجيا الأوربية الاستعمارية -لا تهتم إلا باليهود ذوى الأصل الأوربى ، بينما تهمش أو تنفى دور اليهود الشرقيين ، بل إن مصطلح « الصابرا » نفسه لا يعنى إلا أبناء اليهود الأوربيين أو

الامريكيين المهاجرين الذين ولدوا فى إسرائيل ،بينما لا يشمل أبناء اليهود الشرقيين . وهكذا فإن تاريخ اليهود الغربيين قد تجسد فى الفيلم من خلال فقراته الثلاث جميعا ،أما تاريخ اليهود الشرقيين فإن الفيلم لا يعيره أى اهتمام ، أو بالأحرى فإن الشرق -من المنظور الصهيونى ذى النزعة الاوربية- ليس له أى تاريخ ،ولا يقطنه إلا سكان مجهولون بلا أسماء أو هوية ، وإذا كان هناك «شرق شرير» يتجسد فى العرب ،فإنه يصبح معادلاً للتهديد النازى الشرير ، بينما يكون على« الشرق الطيب» -اليهود ذوى الأصول العربية- أن يدخلوا تحت معطف اليهود الأوربيين ويذوبوا فيهم .كما أن اجتماع صفة اليهود الشرقيين مع شخصية نسائية فى الفيلم يوحى بأنهما كليهما- اليهود الشرقيين والنساء -ينتميان إلى جنس أدنى . إن المرأة اليهودية الشرقية تبدى جهلها وبدائيتها عندما تسأل الأيرلندى : « أين تقع ايرلندا؟ فى إنجلترا ؟ ،وكأن الشرق يحتكر لنفسه الأمية والجهل والغباء على النقيض ،فإن جندى الصابرا يجيب عن سؤالها فى سخرية : و« أين تقع إسرائيل» ؟ فى مصر ،فالمعرفة الحقيقية « يحتكرها ابن جيل الصابرا الذى يمثل الوسيط الثقافى بينها (الشرق) وبين الرجل الأيرلندى (الغرب) ، أو بين العالمين المتخلف والمتحضر ،وهو ما يجب وجهة نظر الصهيونية فى دورها لعبور الهوة التى تفصل بين الشرق والغرب.

كما أن اختيار الممثلين فى فيلم «التل ٤٢ لا يجيب» يعكس دلالات أيديولوجية ،ففى الأفلام البطولية الوطنية الاسرائيلية يلعب اليهودى الشرقى دور العربى ، بينما فى أفلام «البوريكا» (الكعكة اليهودية) الشعبية الكوميدية التى سادت خلال الستينيات والسبعينيات(والتى سوف نتناولها فى الفصل الثالث) يلعب اليهودى الغربى دور اليهودى الشرقى .وهنا فى فيلم «التل ٤٢ لا يجيب» تقوم المغنية اليهودية الشرقية شوشانا داماري بتجسيد دور إمرأة درزية ، بينما يقوم ممثلون يهود شرقيون غير محترفين بالظهور فى أدوار الجنود العرب ، وهو ما يعكس انفصاما فى الرؤية الاسرائيلية للعلاقة بين اليهود والعرب ،وفى استغلال اليهودى الشرقى ،وملامحه السامية الشرق أوسطية دون أدنى اهتمام بأن ذلك يعنى أن اليهودى الشرقى يضرب بجذوره فى الشرق الذى ترفضه الصهيونية

وتقصيه خارج حساباتها . فكون اليهودى الشرقى يهوديا فى« التل ٤٢ لا يجيب » ينحصر فى كونه قارئا للتوراة العبرية ،أما فيما عدا ذلك فإنه-فى نظر الصهيونية - لايملك ذلك التاريخ العربى الذى ينتمى إليه . وإن الصهيونية تحتوى على ذلك الانقسام المصطنع الذى تقيمه بين« العرب » واليهود بما يعنى ذلك من إنكار وجود يهود عرب-والذى يؤدى فى النهاية إلى أن يقمع اليهود الشرقيون بداخلهم أية نزعة أو سمات عربية ، لكى ينضووا تحت لواء المجتمع اليهودى الأوروبى . وعلى الرغم من أن معظم الأفلام الاسرائيلية خلال الثمانينات لم تعد تميل إلى تلك الطريقة فى اختيار الممثلين وتوزيع الأدوار عليهم ،فإن بعض الأفلام الأمريكية ظلت تتبع تلك الطريقة ، مثل فيلم ميناحيم جولان « قوة دلتا » (١٩٨٥) حيث يلعب دافيد ميناحيم دور إرهابى ، فى استمرار لنفس التقليد الذى تستخدم فيه السينما اليهود الشرقيين لكى يلعبوا دور العدو العربى..

وهكذا فإن فيلم « التل ٤٢ لا يجيب » يحاول أن « يخلص » ويحرر اليهود الشرقيين من « خطيئتهم الأولى »، وهى كونهم ينتمون إلى الشرق ،وهو الخلاص الذى يتحقق لهم باشتراكهم فى الحرب ضد العرب .ومن المثير للانتباه أن قرار الأمم المتحدة بأن التل ٤٢ ينتمى لاسرائيل- على الرغم من أن الاسرائيليين لم يستطيعوا البقاء على قيد الحياة فى دفاعهم عنه-جاء نتيجة لوجود العلم الاسرائيلى فى يد المرأة اليهودية الشرقية، فالفيلم لا يعطيها حق « الخلاص » إلا إذا ماتت من أجل وجود إسرائيل ،على الرغم من أنه ليس لديها -فى نظر الفيلم ورؤيته الصهيونية -أية قصة وأى تاريخ ،فقصتها وتاريخها -كما يوحى الفيلم -يبدآن هنا- ، باتخاذها الموقف الصهيونى ،ومع ذلك فإنه ليس من حقها أن تحكى قصتها وتاريخها بنفسها ، فسيظل الغرب / الرجل- داخل الفكر الصهيونى -هو صاحب الحق الوحيد فى أن يروى بدلاً عنها القصص والتاريخ.

دراسة

حرية المرأة.. حرية الفكر

فريدة النقاش

كانت المصادفة وحدها هى التى اختارت هذا التزامن بين انفجار قضية حقوق المرأة السياسية فى الكويت بما ثار حولها من جدل واسع فى الصحافة والمجتمع ومجلس الأمة وصولاً لرفض إقرارها بعد تكتل كل القوى المحافظة ضدها مع تقاعس بعض المؤيدين لحسابات ذاتية ، وبين انفجار قضية حرية الفكر والتعبير حين جرى حبس الدكتور " أحمد البغدادى" فعلاً بسبب رأى كتبه دون أن يحمل سيفاً أو حتى سكيناً، وذلك بعد ملاحقة من بعض الذين يعطون لأنفسهم حق التحدث باسم الإسلام واحتكاره ، ثم تقديم الكاتبتين " ليلى العثمان" و" عالية شعيب" للمحاكمة متهمتين بالاجتراء على التعبير الحر.

كان التزامن مصادفة ، لكنها تلك المصادفة التى يقال إنها خير من ألف ميعاد.

فقضية تحرر المرأة وقضية حرية الفكر والتعبير هما القضيتان الكبيرتان للحداثة العربية كلها منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى يوم الناس هذا. وسوف تحملهما معنا فى القرن الجديد .

ومازال قوى الإسلام السياسى تقاتل على امتداد الساحة العربية لفرض وصايتها على المجتمع العربى فى هاتين المسألتين المحوريتين واللتين ستبقيان مسجلتين على جدول أعمال تاريخنا إلى أن ننجح فى إقرار مبدأى المساواة والعدل بين البشر وحقهم فى التفكير والتعبير والاختلاف ، وإلى أن تصبح هذه جميعاً مفاهيم مستقرة وراسخة فى الوجدان العام ، وفى أوساط النساء

والرجال، وأقول النساء والرجال لأن قوة الثقافة المعادية للمرأة والتى تعتبرها كائناً أدنى قد تجذرت حتى فى قلوب وعقول قطاعات واسعة جداً من النساء وهو ماأسميه ممارسة القهر الطوعى للنفس.

إن استقرار هذه المفاهيم وترسخها فى الوجدان العام ضرورى حتى يصل هذا الوجدان إلى تقبل التعدد باعتباره سنة الحياة ، والحرية مفتاح ازدهارها ، والعدل مقصدها ، والمساواة بين البشر هدفها فى آخر كل سعى.

كانت قضية تحرر المرأة على أساس من المساواة بينها وبين الرجل والإنصاف والعدل فى المجتمع كله شأنها شأن الحريات العامة وفى قلبها حرية الفكر والتعبير والاعتقاد أحد المرتكزات الكبرى لفكر النهضة ، من " رفاعة الطهطاوى" " لزينب فواز" ، ومن " محمد عبده" " لقاسم أمين" " لنوال السعداوى" " ونصر حامد أبو زيد" فى مصر إلى " الطاهر حداد" و" محمد الطالبى" فى تونس.

وأخص مصر وتونس تحديداً لأنهما البلدان اللتان عرفتا الدستور الحديث فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تونس ١٨٦١ ، ومصر ١٨٦٦ ولابد من الإشارة أيضاً إلى مفارقة أن الكويت عرفت أول مشروع للدستور سنة ١٩٣٨ ، وأنها كانت أولى بلدان الخليج التى عرفت الدستور والبرلمان فى ستينات هذا القرن.

صحيح أن دستورى مصر وتونس لم يشيرا من قريب أو بعيد لحقوق المرأة ، ولكنهما تأسسا على مبدأ المواطنة والمساواة والتى لاتميز بين الناس على أساس من الجنس أو اللون أو المعتقد ، ومبدأ المساواة بين المواطنين هو نفسه المبدأ الذى استند إليه المرسوم الأميرى فى الكويت الذى قضىَ بمنح المرأة حقوقها السياسية اتساقاً مع الدستور.

وإقرار مبدأ المواطنة هو خطوة أولية لطرح قضية المرأة كمواطنة وهو ماحدث بعد ذلك حين توالت الكتابات التى تدعو إلى تحرير المرأة من أسر الحريم والتمييز وفتح باب التعليم والعمل أمامها للمشاركة فى الحياة العامة كمواطنة ومنتجة.

وواصل هذا المفهوم تطوره لحد اعتبار وظائف الإنجاب والأمومة وتربية الأطفال وظائف اجتماعية لاتخص المرأة ولاتتحمل مسئوليتها وحدها ، فهى وظائف تقوم بها المرأة لصالح المجتمع كله ولابد له من ثم أن يساعدها على إنجازها على أفضل نحو لينشأ أطفال أصحاء من كل الوجوه المادية والنفسية والروحية.

وكانت أولى اتهامات التكفير التى تصادر على حق التفكير وحريته فى العصر الحديث فى كل من مصر وتونس موجهة من قبل رجال الدين التقليديين والمحافظين فى البلدين لكل من " قاسم أمين" و" الطاهر الحداد" بسبب دعوتهما لإنصاف المرأة التى كانت مرتكز دفاعهما عن الحريات العامة وحرية الفكر والتعبير فى صلبها ، واعتبرها هؤلاء المحافظون خروجاً على صحيح الإسلام كما يرونه هم وطبقاً لتأويلاتهم الجامدة.. وقد بلغت هذه الكتابات من الكثرة حداً جعل بعض الباحثين يقومون بتصنيفها وتحليلها ليكتشفوا آليات التأويلات الجامدة والقراءات الحرفية للنصوص المقدسة ، وطبيعة القراءة التى لاتتجاوز المعنى إلى المغزى كما يقول " نصر حامد أبو زيد" أو تلك التى لاتعرف اتجاه السهم واتجاه الحركة فى النص القرآنى الذى يوجهنا إلى المساواة والتحرير كما يقول" محمد الطالبى".

وكانت ملاحقة " نصر حامد أبو زيد" وصولاً إلى استصدار حكم بتطليق زوجته " إبتهال يونس" منه بدعوى ارتداده قد تأسست على عدد من كتاباته حول حق المرأة فى المساواة فى الإرث طبقاً لتأويله هو للنص القرآنى الذى تأمل " نصر" وهو المتخصص فى الدراسات القرآنية فى حركته الداخلية واتجاهها وقال إنه حيث نزل القرآن على قوم لم تكن المرأة بينهم ترث أصلاً بل كانت هى نفسها تورث ، ومثل هذه الحركة الداخلية للنص تجعل المساواة فى الإرث ممكنة وهو ماكان قد أخذ به المشرع التونسى حين ساوى بين الذكر والأنثى فى الإرث استناداً للتأويل واحتكاماً لما جاء القرآن من أجله وهو العدل والمساواة والرحمة والإنصاف كما يقول " الطاهر الحداد" الذى اعتبر قبل سبعين عاماً أن ماجاء به القرآن مشروط بالزمان والمكان لكن ماجاء من أجله كونى خالد وشامل أى العدل والمساواة والرحمة والإنصاف.

كذلك تتشابه هذه القراءة مع الدعوة للقراءة المقاصدية للنص كما يقول " محمد الطالبى".

تداخلت إذن القضيتان حرية المرأة وحرية الفكر فى ثقافتنا على امتداد مايزيد على القرن وماتزالان موضوعين للجدل المتواصل على امتداد الساحة العربية من الجزائر إلى مصر والكويت.

ففى الجزائر كانت المرأة مثلها مثل المفكرين الديمقراطيين ضحية العنف الوحشى للجماعة الإسلامية المسلحة التى رأت فى الديمقراطية معادلاً للإلحاد وفى حين قتلت هذه الجماعة النساء لأنهن خرجن سافرات ومثلت بجثثهن بعد فشل محاولات فرض الحجاب والنقاب عليهن ، قتلت المفكرين الأحرار الذين

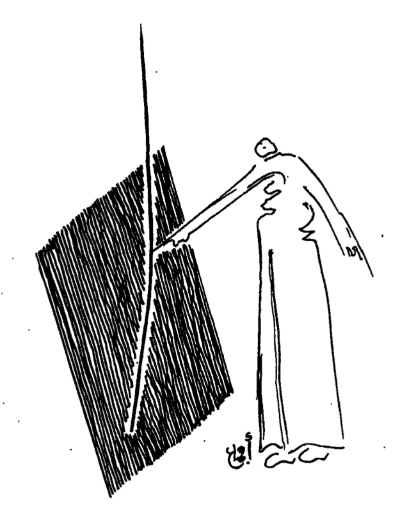
دعوا للديمقراطية وحرية الرأى والتعبير والإبداع وحرية المرأة فقد تداخلت القضيتان وأصبحت كل منهما وجهاً للأخرى .

وقامت كل من الجماعة الإسلامية المسلحة بل وحتى جبهة الإنقاذ الإسلامية التى نبذت العمل المسلح وأعمال العنف والقتل كافة فى مرحلة لاحقة قامتا باختزال الشرف الدينى بل والشرف الوطنى ذاته فى جسد المرأة كفتنة وعورة لابد من إخفائها ومراقبتها مراقبة صارمة وصولاً إلى القتل إذا ماعَنَّ للمرأة أن تفلت من المراقبة وتخرج من الخباء إلى السفور وإلى ممارسة الحرية وتحمل مسئوليتها.

وفى مصر وبعد أن نجحت الجماعات الدينية فى ملاحقة " نصر حامد أبو زيد" إلى أن خرج من البلاد شبه منفى عنها قامت قائمة الشيوخ الذين ادعوا العصمة لأنفسهم ضد التعديلات الجزئية بالغة الهزال فى قوانين الأحوال الشخصية والتى لم ترض طموحات الحركة النسائية الجديدة فى مصر وقد أدخلها المشرع لتسهيل إجراءات التقاضى فى الأحوال الشخصية التى كانت تستغرق من عمر المرأة والأسرة سنوات وسنوات تتعرض فيها أسر للدمار ونساء للضياع ، ورغم موافقة شيخ الأزهر ومجمع البحوث الاسلامية بأغلبية كبيرة على هذه التعديلات الجزئية وهو ماكان ينبغى أن يضعف حجة المعارضين لها باسم الحفاظ على الشريعة ، فقد قامت الدنيا ولم تقعد بدعوى أن التعديلات تتناقض مع الشريعة ولكن النزعة الأبوية الاستبدادية والثقافة الذكورية المهيمنة هى التى شرعت كل سيوفها بعنف غير مسبوق فى إهدارها لمبدئى المساواة والعدل وأصبحت فكرة الاحتكام للقاضى فى حالة سفر الزوجة بدلاً من قرار الزوج تخريباً للبيوت وتهديماً للأسر وإهداراً لمبدأ القوامة رغم أن الاحتكام للقاضى هو نفسه غير دستورى لأن الدستور يساوى بين المصريين وتحمى الاتفاقيات الدولية التى وقعت عليها الحكومة المصرية حق التنقل باعتباره أحد الحقوق المدنية الأساسية للإنسان رجلاً أم إمرأة.

وفى الكويت رفض مجلس الأمة منح المرأة حقوقها السياسية التى يضمنها الدستور بسبب النفوذ المحافظ الإسلامى السياسى فى نفس الوقت الذى جرت فيه ملاحقة الكتاب وبينهما الكاتبتان " ليلى العثمان" و" عالية شعيب".

ولأن التاريخ لايشطب من جدول أعماله أبداً قضايا لم يتم حسمها بصورة نهائية وشاملة فلو بقيت قضيتا تحرر المرأة على أساس من العدالة والمساواة وتحرر الفكر على أساس من الاعتراف المتبادل بحق الاختلاف والحرية الكاملة للفكر والتعبير معلقتين وغير محسومتين فسوف نحملهما معنا فى القرن



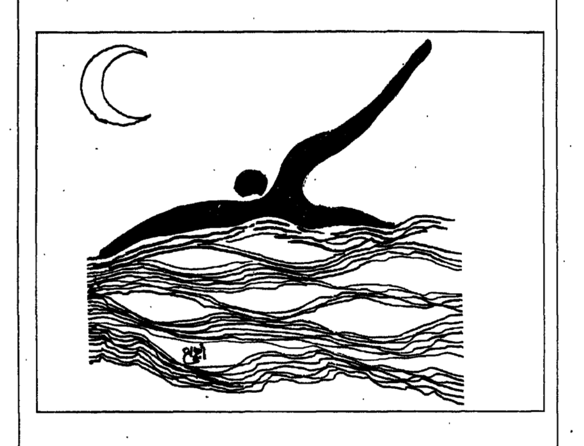
الجديد وسوف يظل أمر دخولنا الحقيقى إلى العصر الحديث ناهيك عن مابعد الحديث مشكوكاً فيه ، رغم أننا نستخدم الطيارة والهاتف المحمول ونتعامل مع شبكات الإنترنت.

والمفكرون والسياسيون الديمقراطيون من الرجال والنساء مدعوون جميعاً لخوض هاتين المعركتين محدّداً وبكل قوة وشجاعة وفى كل الساحات : فى البرلمانات والجامعات ومراكز البحث والأحزاب والنقابات والجمعيات.

صحيح أن الصراع بين القديم والجديد لن تحسمه الأفكار وحدها بل يضاف إليها مستوى التطور الاجتماعي والتقدم الإنتاجى لكن رواج الأفكار التحررية بكل السبل هو أساس لاغنى عنه لنا نحن العرب والمسلمين حتى نخطو للأمام ولا نخرج من التاريخ.

الديوان الصغير

إبداع محكوم بالحبس شهرين



نصوص من ليلى العثمان وعالية شعيب

الإبداع ليس جريمة قتل

تتوالى حالات العسف الموجهة ضد الإبداع والفكر حتى شهدت فى الفترة الأخيرة درجة من الكثافة الملحوظة، للأسف .فقد تمت فى بيروت محاكمة الفنان مارسيل خليفة بسبب إنشاده أغنية «أنا يوسف يا أبى» ،التى هى أصلا قصيدة قديمة لمحمود درويش. وقد برأه القضاء ،بعد مداولات وجلسات استمرت شهورا .وفى الكويت تمت محاكمة الكاتب أحمد البغدادى لأسباب فكرية.وفى مصر جرى التحقيق مع د. جابر عصفور ، وفق قانون الحسبة ،لأنه دعا إلى مؤتمر المرأة العربية أديبات تحدثن بما لم يعجب فقهاء الظلام. وأخيرا فى الكويت أيضا تمت محاكمة القاصة ليلى العثمان والشاعرة عالية شعيب لأنهما «خدشتا الحياء الأخلاقى» .وقد حكمت المحكمة عليهما بالحبس شهرين مع الغرامة ، وسوف يستأنف الحكم بعد أسابيع.

فى« ديواننا الصغير » هذا نصوص لليلى العثمان وعالية شعيب . ننشرها لنؤكد على:

أن الإبداع لا ينبغى أن يحاكم بالمعايير الدينية أو الأخلاقية ، بل بالمعايير الفنية الأدبية وحدها.

وأن هذه النصوص- مثل غيرها- ليس فيها -مع ذلك- ما يسئ إلى الدين أو الأخلاق الحميدة.

وأن «القاضى» الوحيد المنوط به الحكم على جودة الأدب أو رداءته هو القراء(بمن فيهم النقاد، باعتبارهم قراء) لا قضاة محاكم الجنح والجنايات.

فالكتابة ليست سرقة ،وليست جريمة قتل.

قصص من ليلى العثمان

وجه الذئب

لم أكن فى تلك اللحظة قادرا على الاتيان بشئ . هل لأنها تحذيرات أمى المتواصلة منذ وطئوا أرضنا:

- « اياك . ثم اياك أن تخرج لهم لو اقتحموا الباب، أو تنطق بكلمة ، أو تترك لأنفاسك أن تشهق أو تعطس . اياك يا « وليدى» حتى لو رأيتهم يغتصبون جسدى أمام عينيك ».

وحدى ، فى زاوية مخبأ التكييف فى أعلى السقف . الظلام دامس يغمر كل شئ حتى خفقات قلبى ، ورائحة المكان الرطب تتناثر إلى رئتى . رائحة وحدة . ونسيان . بضعة صراصير بليدة توطنت قدمى الميتتين ، فلا أجرؤ أن أحرك ساكنا. تحذيرات أمى:

- « اياك ثم اياك ، أحلفك بشيب رأسى ».

***

المشهد أمامى ، أنظره من خلال فتحة التكييف الملوثة بالغبار القديم ، وأنا ابنها العاشق لا أتحرك ، لا أجرؤ أن أقاتل و أدفع عنها أذى الانياب . لست ضعيفا ، لكنه صمودى المقهور الذى يحقق لها الراحة .هى لا تريدنى أن أموت ، وأنا لا أريدها أن تموت حزنا على. تمسكت بتحذيرها:

- اياك .. ثم اياك.

أذكر قلت لها مرة:

- أتمنى أن تموتى قبلى.

آه كم تلون وجه أمى ذلك اليوم ما بين الحزن ،والدهشة ،والخذلان، وتلألأت فى جوف عينيها أمطار أبت الهطول والهزيمة.

تشبثت بها. ارتميت فى حضنها وهتفت:

- أعرف لو أموت مدى حزنك على، لا أريد أن تجربى هذا الألم المرير ، أخاف عليك.

تطاير ألمها ، وابتلعت العينان مطرهما ، عرفت كم أحبها ، وأرتعب أن تذوق قهر موتى.

هرستنى إلى صدرها ، فركت ظهرى بحنان أحسه تقاطر كالندى وأعشب صحراء الظهر.

وفى تلك الليلة ، تعذرت لأبى أنها متعبة ، وفرت إلى فراشى وكأنها تدخل الجنة ، أخذت تدللنى ،

وتعبث انا ملها الرقيقة بخصلات شعرى التى طالت ،همست:

- غدا تحلق شعرك.

تكورت بها، انزرعت فى صدرها . دسست أنفى فى صدرها ، شممت رائحة حليبها القديم ، أحسسته يسرى إلى ثغرى فاشبع وكأننى قد جعت دهرا . تركت جسدها يدفأ ويستريح قريبا منى ، ويهنأ.

***

جسد أمى أمامى ، مسفوحا وشاغرا .كانت المرأة الأولى التى أراه فيها يتعرى وتظهر أجزاؤه المحرمة . صدرها الثابت فى ذاكرتى يترجرج مدافعا عن نفسه.ما يزال كما تركته أخر مرة بعد أن تخاصمت وأبى مرارا:

- يا امرأة ، الولد كبر ،خمس سنوات رضاعة تكفى.

أمى تصر:

-« خل عوده يقوى» خليب الأم نعمة.

كنت بفضول الطفولة البرئ أدس نظرتى من ثقب باب غرفة نومهما والمح يدها تمتد إلى صدرها ، تخلعه من شق الثوب . وأرى ثغره يمارس دورى.

فى تلك الليلة كرهت أبى، أدركت لماذا يريدنى أن أكف . يريد صدرها له. وددت لو أقتحم الباب وقد اشتعلت الغيرة بقلبى أقصيه من مكانه وأحتل مكانى الأثير وأشبع.

كيف يفعل الرجل المحترم هذا؟ كيف يصير طفلا وهو الكبير ؟ أعرف أنه يحبها ،كنت واياه نتشارك فى هذا الحب ،وفى الغيرة عليها، وفى الخوف أيضا .حين يعنف عليها أحيانا ، وأعقها أنا فى مشاغباتى الصغيرة ، تكتئب وتبكى ، وتمرض ،فنتلتجئ إليها ثانية ، نواسيها ونفرحها فتصفح وتهدينا عطر الحنان مضاعفا وكأننا لم نتسبب لها فى الأذى.

كانت الجائرة بيننا ، توزع دورها كزوجة ، وأم ، وترضعنا نحن الاثنين ، أبى يعترض ، وأنا أتعلق بالصدر ، تفاحة مستوية تنز مطراً أبيض يسقى شراييني ، ويمد بعمرى ، لن تحرمنى اياه رغم ما فعلته ذات ليلة حين صككت بأسنانى عليه ، صرخت متوجعة وأبعدتنى عنه بغضب ، تصورت أنها اتخذت قرار فطمى ، لكنها بحنان بالغ أرضعتنى فى اليوم التالى خمس مرات. كاد

الصدر يجف وكأنها تؤكد لى أن حبها لا ينتهى بمجرد عضة صغيرة.

***

صدرها الآن أمامى ، نافرا نفور الغضب ، تبدلت صورته القديمة . لم يعد تلك التفاحة المستوية الشهية ، أراه ذابلا .كل أحاسيسه ميتة بين يدى الغريب الذى يدعكه بشراسة وجنون ، وكأنه يدعك بقلبى . آه يا صدر أمى ،وحدى كنت أعرف أستله برفق ، واَلقمه ثغرى ، لا يعرف صدور الأمهات الا الأطفال.

كانت النار تصلنى ، تحرقنى ، وتكاد تقلع جذور صمتى ، وصمودى .فاصرخ :

-خذ كل شئ فى البيت، ودع لى صدر أمى.

لكن صوتها الهدار بداخلى يطفئ صوتى:

-« اياك . ثم اياك ،حتى لو.. »

لم أجرؤ ،حتى عندما رأيت أمى فى لحظة تتحول إلى- صدر - صارت كلها العزيزة الغالية، صارت الأرض كلها . اختلط ملحها برملها ، صارت الآفق والمرعى والجسد والصدى ومواالات الزمن البعيد ، وشجو الحكايات الدافئة وظل السدرة وطعم -الكنار- ، وأذان المساجد التى تصرخ لحظة الفجر الجميل : الله أكبر.

هى تقاوم ، وتقاوم ، وعينى تلتقط أجزاء جسدها الأخرى تلتمع بعرقها المحموم . تكز على شفتيها ، لا تريد لصرخاتها تنطلق وتشق مخبأى فأحسبها تستغيث بى فأكسر الوعد وأخرج لحتفى. احتملت الألم ،وهو يسلب حراراتها ويحرثها بلا رحمة ، وسلاحه ملقى بقربها . عينى تتجمد عليه وأتمنى لو أهبط من مخبأى، أرفعه ،وأغرز رصاصة فى قلبه وشيئه القذر. لكن الأمنية تموت ،والعين تنحاز بنظرتها لتتفرس وجه الذئب ، أردت أن التقط كل تفاصيله التى ربما تكون جميلة ، لكنها بنظرى أقبح من وجه ضفدع هرم . اصطبرت ، وعانيت .جسدى ينضح عرق القهر ،والذل، شئ له رائحة غير مألوفة ، تدوخنى ، أغتاث منها لكننى أبتلع الغثيان وأجتر الصبر وأستمر أحدق بتفاصيل الوجه لترسخ فى عينى وذاكرتى.

***

فى الليل تناهت إلى شهقات

أمى، وأبى يجهد تعبها وقهرها ، أحسه يحتوى رائحة جسدها الذى تلوث ، أسمع همسته:

-أنت الطاهرة الغالية.

وسواله المرتجف:

-عسى الولد ما شاف شئ؟ ، وأعرفه شهما ويحبك ، ان كان رأى لما توانى عن الدفاع عنك.

فزعت ، أردت فى لحظة أن أرتحل إلى حضنه وأبكى ، وأعترف أننى رأيت ، وأننى قصفت رجولة سنواتى الستة عشر ولم أدافع عن أمى لأنها التى حذرتنى ،هى التى لا تريدنى أن أموت.

قبل أن تنزعنى نفسى إليه كان صوت أمى يهون عليه :

-كان فى المخبأ ، أشك أنه رأى شيئا.

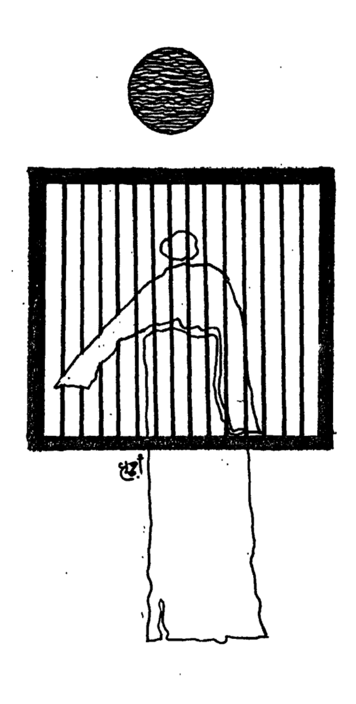
هل كانت أمى توهم نفسها ، أم كانت تتمنى أن يكون وهمها حقيقة تشيع الراحة بقلب أبى ،وتجعلنى أعنا من المنظر الرهيب؟ شقتنى زفرة طويلة صدرت عن أبى ممزوجة بالوجع وبالأنين ،وتباطأ نشيج أمى حتى ذاب فى الصمت الذى ران على كل شئ.

امتدت يدى إلى الراديو الصغير ، أتلقط الأخبار المقذوفة من شتى الاذاعات تعلن مشهد اغتصاب أمى وتعيد الصور منذ لحظة الطرقات الهمجية على الباب، وحتى لحظة الاغتصاب.

يأكلنى الفراش، يرفضنى ، أكاد أخرج وأقتحم باب غرفتها ، أخر تحت قدميها وأطلب غفرانها ، لكن فكرة أخرى تستفزنى لحد التوحش ، صوت أبى يستنهض رجولتى: «أعرفه شهما لو كان رأى لما توانى عن الدفاع عنك» . وصوت أمى يجلجل: « اياك .. ثم اياك ».

لكننى أصك أبواب سمعى ،وقلبى ، أرفض رجاءاتها ،وأتوسلها : لا تمسكى بيدى ، لا تكبلى أقدامى، لن أتردد ، ليكن الحزن أليما . لا بأس أن يأتيك جسدى ملفوفا بقماش ملون ،أحمر بلون دمى ، أخضر بلون نخلتنا ، أبيض بلون قلبك ، أسود بلون حقدنا المولود.

تمردت على ندائها الحميم ،قفزت ، انتشلت عمرى من فراش الشوك ، هرعت إلى المطبخ ، نبشت القدور ، وأكياس الأرز ، وقلب الدجاجات المثلجة ، قلبت كل شئ ،بحثت فى كل خرم ثم أسقطت كفى فى البالوعة



رطوبةأب اللعين . خطوتى الأولى مترددة ، والثانية تمتد ،الثالثة تثب ، الرابعة تقفز ،الخامسة تنطلق ، السادسة تطير، تبحث باصرار عن وجه ذنب اغتصب أمى.

***

يحدث كل ليلة

ظل الذى يحدث كل ليلة يثقل على صدرى ، يعكر حياتى ، قلت لنفسى : لا بأس أن يشاركنى أحد بهذا الحمل . ولربما وجدت له حلا ترددت كثيرا لكننى جروت أخيرا حين التقيت بمجموعة من زملاء العمل فى المقهى البحرى نحتسى الشاى ونشرب «الارجيلة».

كنت كعادتى منذ أن بدأ يحدث لى مايحدث كثير السهوم ،معتمرا كآبتى أينما ذهبت .كانت فرصتى حين علق أحدهم:

- أنت تغيّرت . لم تعد ذلك الضاحك المتجلى!!.

تنحنحت ، سحبت نفسا من الدخان . وأطلقت آه طويلة قبل أن أقول :

- والله «يا جماعة الخير» عندى مشكلة تنغص على عيشى.

تبارت الأصوات بين اندهاش وفضول ومشاعر خوف .خير إن شاء الله، ويا أخى فضفض عن صدرك . و: معقول تكون فى مشكلة ولا نساعدك؟ ها . تفضل قل.

أسرنى اهتمامهم .حكيت لهم القصة . انفلتوا جميعهم بالضحك حتى كاد أحدهم يشرق بالشاى ، وارتج آخر بكرسيه . أوشك يقع لولا تداركته يد الجالس على يمينه . بداخلى شعرت بالندم .فقد اشتممت رائحة استهزاء وشك فى قواى العقلية .ها قد صرت أضحوكة لهم . لمحوا انقباضى . تراشقوا النظرات لبعضهم كمن يلومون أنفسهم . قلت:

-كان لى الحق أن أتردد ولا أطلعكم على سرى .لكن!ها قد غلطت .

انهالت اعتذاراتهم:

- يا أخى الحكاية مضحكة . لكن هذا لا يعنى أننا لا نأسى لأجلك ونشاطرك همّك.

قال آخر:

على كل حال .لدى حل لمشكلتك .حتى تنام نومة عميقة فلا تشعر بأحلامك.

هذا لا يعني أننا لا نأسى لأجلك ونشاطرك همّك.

قال آخر:

على كل حال .لدي حل لمشكلتك .حتى تنام نومة عميقة فلا تشعر بأحلامك.

- تفضل .أتحفني بما لديك.

اعتدل .مج نفسا . شفط جرعة من الشاي:

- شوف . افتح أنبوبة الغاز واستنشق الرائحة . تدوخ وتنام كالمسطول .عندما لمح استيائي من اقتراحه الشرير أبدى جدية شديدة . .أكمل :

- صدقني هذا ما فعلته خادمة فلبينية بأطفال مخدوميها . شياطين يتعبون أمهم وقت النوم .وحين سلمتها مسئوليتهم لتخرج مع أبيهم للسهر . ضاقت بهم الخادمة . وأخذت تنشقهم الرائحة. الأم لاحظت انضباط نومهم في ساعة معينة . شكّت في الأمر . لبدت ذات ليلة وفاجأت الخادمة في المطبخ تمارس فعلتها الشنيعة على الأطفال.

فجعتني الحكاية ،وحين لمح استغرابي أضاف لمعلوماتي -التي رآها ضحلة- حكايات أخرى أقشعر لها بدني .وحزنت على أطفالنا المتوهين بأيدي الخدم . لكني رفضت الفكرة ! ما يدريني لو أنني استنشقت أكثر من حاجتي وفقدت حياتي؟.

استمعت لكثير من الاقتراحات . بضعها جربته لمعقوليته بينما أهملت مجرد التفكير بالبعض الآخر. أكّد لي أحدهم أن بعض أنواع الوسائد غير مريحة .وسادة القطن مثلا تتبلد مع الرطوبة .تصير تحت الرأس كالأرض الوعرة. وسادة الريش تسبب الحساسية . امتدح وسادة الديباج جربتها . لكن الحال ظل كما هو . فقررت أن أستغني عن الوسائد . ولم أنج مع ذلك مما يحدث.

أشار عليّ أحدهم بحبة مهدئ . بدأت بواحدة . تطور الأمر لاثنتين وحين تعدت الحاجة لثلاث وأربع . توقفت خشية أن ينتهي بي الأمر إلى الإدمان ،خاصة وأنها لم تمنع الذي يحدث.

اقترح آخر: عليك بالقراءة، إنها تمتعك وفي نفس الوقت مثيرة للنعاس قلت:

- القراءة هوايتي المحببة . أنا أقرض الكتب مثل الفأر.

وذكـرت لهم ألوان الكتب التى اقرأها . صرخ أحدهم وكأنه وقع على حل للغز العجيب:

- تلك هى مصيبتك .ما دمت تقرأ هذه الكتب .فما تحمله من أفكار تشوش حياتك وتفسد راحتك .أبحث عن كتب أكثر متعة.

قلت أجرب .كومت العديد من القصص العاطفية الساذجة . كتب المذكرات . قرأت مذكرات الراقصات فاشفقت عليهن وحقدت على بعضهن . قرأت مذكرات الفنانين الكبار . أعجبتنى حياة ليلى مراد وفريد الأطرش وعبد الوهاب.

تراكمت لدى كتب عجيبة وغريبة مثل كتاب «نكت من تحت الدست» و«كيف تصبح مليونيراً» و«كيف تروض زوجتك» و.. كلها قرأتها . ومع ذلك ظل الذى يحدث . فعدت لكتبى الأساسية ذات الأفكار التى لا تعجب زميلى.

لجأت لاقتراح تبرع به أحد النهمين:

- «طيعنى» إملأ بطنك بأكلة دسمة. أتبعها بثلاثةأكواب من اللبن المخيض ، ستنام كالقتيل.

النتيجة كانت بائسة .حين اتصل بى مستفسراً عن نتائج وصفته . لعنته مؤكدا أنها قلبت كيان أمعائى ونقلتنى إلى المستشفى . أحسسته من وراء الهاتف يلوى شفته هازئا . متهما إياى بالجنون.

من حيث الجنون . لست مجنونا بشهادة أكثر من طبيب متخصص .كلهم أكدوا سلامتى. أجمعوا أن لا شئ سينقذنى من هذه الحالة إلا الزواج!

أخ ! المرأة! وما أدراك ما المرأة ! هلعت من الفكرة . أى فائدة يتصور الأطباء أننى سأجنيها من الزواج ؟ وهل حقا سيكون منقذى من الذى يحدث؟.

أنا شخصيا لا أحبذ الزواج.أصدقائى ،وبعض أقاربى جعلونى أكره هذه المؤسسة فكلما اقتربت من بيوتهم واكتشفت مصائبهم حمدت الله أننى -العاقل الوحيد بينهم- هل أنا أهبل لأقبل أن تأتى امرأة وتتحكم بمصيرى ! تفرض علىّ شكل ملابسى . وطريقة نومى « كى لا أزعجها بشخيرى» . وتلاحقنى بتنبيهاتها العديدة وتحدد لى مواعيد عودتى ،تتدخل فى اختيار أصدقائى .وقد تسد الباب فى وجه من لا يعجبها منهم . ربما

تفرض عليّ حتى نوع السجائر التى أدخنها.

وأنا لا أحتمل أن تصرخ فى وجهى كل مرة لتذكرنى بخلع حذائى عند عتبة الباب حتى لا ألوث السجادة «رغم أننى أنا الذى سأشترى السجاجيد وكل أثاث البيت».

لا!

البعد عن النساء غنيمة .مالى أنا وثرثرتهن . ودموعهن التمساحية. ؟حتى حنانهن أشك أنه صادق . إنه مجرد طعم ليقبل الرجل بكل الشروط ثم بعد أن يقع فى الفخ تدوس على عواطفه . وأحاسيسه . لذا استبعدت الفكرة من أساسها.

فكرت:

إن كان ما يحدث مجرد حلم ! فلابد أن يكون له تفسير . وبدأ هم جديد . تنقلت بين المكتبات باحثا عن كتب تفاسير الأحلام .وحين لم أجد لحلمى أى تفسير -ربما لغرابته -أحرقت كل الكتب التى أحرقت بها أعصابى.

قالت لى إحدى الزميلات فى العمل- وقد سرب لها أحدهم سرى- إن حالتى هذه سببها «الكبت الجنسى» .حقدت عليها .ما أوقح النساء! كيف لم يجرؤ رجل أن يقول هذا وجرؤت هى ! هل تقصد أن تلفت نظرى لأتزوجها ؟ لم أرد عليها .فأنا لا أعانى مما تتصوره . صحيح أننى أعيش فى مجتمع مكبوت ! لكن هناك وسائل للراحة يمارسها العزاب أمثالى.

عاتبت الزميل الذى أفشى سرى، اعتذر وقال:

- لا تستهزئ برأيها . ربما لديك «عقدة جنسية» ونصحنى أن أعود بذاكرتى إلى سنوات عمرى الأولى ، وأيام الشباب.

دخلت متاهة أخرى . أخذت أقضى الساعات راجعا بذاكرتى إلى الطفولة . تذكرت أننا صبينان الحى مارسنا أنواعا من الشقاوات . . لكننى لا أذكر أن أحدا جرح براءتى حتى حين زاودنى ذات يوم أحد الصبيان الملاعين.

يومها حصرنى تحت «عريش بيتهم» ليرغمنى على مشاهدته مع- عنزتهم- الصغيرة محاولا استثارة حواسى لأرضخ له . لكن العذاب الذى عانته العنزة صرفنى عن كل شئ .تقيأت . فررت لأمى . فتنته لها . وبعد أيام عرفت أن أباه كواه فى

عورته ليؤدبه.

تدرجت بالتذكر لأيام الصبا والشباب الغض . فلم ينتصب أمامى الا وجه وضحة الطبيب البرئ الذى كنت ألمحه من شق النافذة . وأحلم به طوال الليل حتى تزوجت فشعرت أن حلمى انكسر . ورفضت البحث عن حلم جديد.

ما عدا تلك الذكرى لم تكن لدى تجارب عملية .كانت شهوتى العارمة للقراءة تجمينى من خدش الحلم بالاقتراب منه . اختصرت علاقتى ببعض الشباب عشاق القراءة مثلى . بعضهم كان يسافر ويأتى بالكتب الجديدة والغريبة . فنقرأ ،نتناقش ، نبحث عن أى شئ يضيف لعقولنا. تشكلت بعد ذلك مجموعتنا التى انتمت لفكر واحد.

هذا الارتداد للزمن الماضى أكد أن لاشئ في حياتى يجعلنى أخجل منه، وأننى لم أت فعلا فاحشا أو مخالفا للقانون أستحق معه هذا العقاب الذى يحدث.

ذات ليلة . كنت فى ضيافة صديق . ضمت الجلسة مجموعة غير متناسقة من الرجال والنساء . فى تلك الليلة لفت نظرى امرأة– رغم سمنتها وقصر شعرها –كانت تقرأ طالع إحداهن فى فنجان القهوة. الأمر لا يعدو كونه« تسلية نسائية ».

لكن اندهاش التى تسمع وترديدها كلمة– صح– جعلنى أندفع للمرأة أقدم لها فنجانى بعد أن قلبته وجف قلبه . ضحكت . لم تتأخر أن تسخر منى:

– مثقف مثلك . يؤمن بالفنجان؟.

دافعت عن نفسى :

– أبدا . مجرد فضول لأكتشف قدراتك.

امتعضت . فرشوتها بابتسامة . تأملت فنجانى . تغيرت سحنتها . نظرت إلى نافرة متعوذة:

– أنت مسكون.

بدهشة لا تتناسب وثقافتى:

– مسكون بماذا؟؟!.

بحلقت بوجهى فغابت جاذبيتها:

– بالشياطين .

هزئت بسرى . لكن لم يمنعنى أسألها لأشعرها بأهميتها.

–وكيف أتخلص من شياطينى إن شاء الله ؟.

قالت بثقة من يملك الحل:

–غير سكنك:



عقدت ما بين حاجبي استياء أكملت:

- أدواتك . أثاثك . وإن استطعت غير بعض أفكارك.

عدت إلى بيتي . تجولت فيه . بحثت عما يوحي بأنه المسبب لما يحدث .هل هي الفوضى ؟ هل هو التراب المتراكم فوق الخزائن والرفوف ؟ هل هو الأثاث القديم الذي اشتريته بسعر معقول من سوق- بينَ المقبرتين ؟.

الغريب أن كلامها الذي سخرت منه . أقلقني . لعنتها . ولعنت الفنجان . ويوماً بعد يوم سيطرت عليّ فكرة التغيير. هربت لسكن آخر دون أن أحمل شيئا من أغراضي . لكنني لم أستطع إلا أن أحمل كتبي وأفكاري معي.

حين استلقيت على فراشي الجديد في الليلة الأولى . قهقهت سعيدا على اعتبار أن تلك الكائنات لن تعرف عنواني الجديد . ثم حتى لو عرفته .فإنها لن تستطيع الصعود إلى الطابق الخامس -تعمدت اختيار دور علوى متوهماً أنه سيحميني -لكن فرحي خاب .حدث الذي يحدث كل ليلة .مما جعلني أستعيد ما قالته المرأة بأنني مسكون بالشياطين.

قررت الذهاب إليها- وأنا آسف لأجل نفسي التي وصل بها الأمر لهذا الحد.

طرقت بابها في ظهيرة حارة رغم تنبيه الصديق الذي أعطاني عنوانها: «يا رجل هذه امرأة سخيفة . يتسلى الناس بهبلها».

حين فتحت لي الباب ابتسمت بمكر. ربما تصورتني أرغبها لنفسي . مشت تسبقني بخطوتها .كانت خفيفة الحركة رغم سمنتها . دققت بتفاصيلها . نفرت حين تخيلتني أمارس الحب مع امرأة تشبه «السرير الهزاز».

غابت لحظات .عادت تحمل القهوة . استفسرت عن حالي وهي تصبها وبخارها اللذيذ يتسرب لحلقي . أخبرتها أنني سمعت نصيحتها وغيرت سكني لكن ما يحدث لي مستمر.

ضربت على صدرها برفق- كفها صغيرة وأصابعها قصيرة :

- علاجك عندي . انتظر.

عادت تحمل بيدها زجاجة مملوءة بسائل أصفر . نصحتني :

- قبل أن تنام . رشه على فراشك

. سيطرد شياطينك.

- هل تمارسين السحر أيضا؟.

تدلّعت:

- احسبها كما تشاء.

وأنا أهم أخرج التصقت بى متوددة . ارتعبت . تخلصت بلباقة . أوحيت لها بوعد كاذب ويدى تشد على الزجاجة:

- إذا نجح علاجك.

فررت تلاحقنى ابتسامتها الآملة.

رغم عدم اقتناعى بهذه الترهات . إلا أننى فعلت ما أمرتنى به فلم تنجح التجربة بقدر ما أثارت الرائحة قرفى وحكاك جلدى.

عدت إليها . أعلنت فشل دوائها . اغتاظت وكأننى طعنتها بقدراتها طردتنى صفقت الباب بوجهى ولسانها يرعد:

- يا ابن الشيطان!.

احترت بأمرى . ضاقت علىّ حياتى ، الذى يحدث لا يتوقف . فقررت ألا وسيلة للهرب منه إلا بمقاطعة النوم ما دامت تلك الكائنات تستغل نومى .احتسيت عشرة أكواب من الشاى والقهوة . صعّدت صوت الراديو . تركت النور مضاء، فوجئت بضوء النهار يوقظنى . لقد نمت وحدث الذى يحدث كل ليلة.

لاحظ زملائى اضطرابى واعتلال صحتى .بعضهم حاول استغلال الموقف:

- يا أخى أنت كثير المناكفة . تزعج مرؤسيك .تعارضهم .وتنقب عن أخطائهم.

نفثت غضبى:

- هل تريدنى أوافقهم على ما يفعلون . ويطلبون؟.

أرعش أصابع كفه فى وجهى:

- يا رجل هكذا تسير الأمور فى كل مؤسسات الدولة .هل تريد أن تصلح العالم؟؟.

بكبرياء أجبته:

-إن كنت لا أستطيع إصلاح العالم . فعلى الأقل أحافظ على صلاح نفسى.

هزئ:

- لنر إن كنت ستصمد.

تحديته:

- سترى . المهم أن أنام مرتاح الضمير.

شمت بى:

- وهل أنت قادر أن تنام مرتاح الجسد حتى تفكر بضميرك ؟ ساير الأوضاع ترتاح!.

لم أجد الراحة أبدا .فى النهار ضايقات .محاولات لخنق عنقى فى ذات الزجاجة التى اختنقت بها أعناق غيرى من الضعفاء .وفى الليل يحدث لى ما يحدث. وإن كانت وسائلى فى مقاومة اعداء النهار تنجح إلى حد ما، فإن كل وسائلى التى جربتها لمحاربة كائنات الليل باءت بالفشل.

من أين تأتى ؟ لم تختارنى ؟ وإلى متى ستستمر ؟ ما أكاد أدخل دهليز النوم حتى الصبا . تزحف نحوى . ثم تعجل بخطواتها وطيرانها .« بق. نمل . عناكب . صراصير . شرانق. سحالى. ديدان ». وأشكال أخرى غريبة لا أعرف أنواعها . ولا أضبط ألوانها . تفترس جسدى أكواما فوقها أكوام . تندس فى أضيق الثنايا . فتحات أذنى . ومنخرى .تحت إبطى . داخل شعرى .فى سرتى وبين أفخادى . تدلق سوائلها اللزجة . تصدر أصواتها المتنافرة تلقى أوامرها بلا رحمة:

« وقع هذه الأوراق . مزق هذا الملف . أضف معلومة هنا . ورقماً تسبقه عشرات الأصفار هنا . إحن هذا الرأس -اليابس - امسح أفكارك الغريبة. غض نظرك عما ترى وتسمع . أخفض صوتك العنيد . قدم الولاء والطاعة ».

تتعالى الأصوات حتى تتحول صراخا باهظ القسوة. أحاول الدفاع عن نفسى رغم أننى مبذور بلا حول ولا قوة تحت الأكوام . لكنها بقوة تضاهى ألف حصان تنتهكنى.

يتفجر شبقها المجنون . تضاجعنى من كل الأمكنة . تؤلمنى . ترضرض أطرافى تسحقنى . لا تغادرنى إلا حين أصل أعلى درجات الإنهاك . وأتحول مجرد خرقة بالية ممزقة.

كان لابد أن أجد حلا ينتشل ليلى من هذا النهش القاهر . ويعيد توازنى الذى بدأ يترنح بسبب قلة النوم وتشوش تفكيرى الذى لم يعد يصب فى اتجاهاته المفيدة . أصابنى الهزال والارتباك حتى بدأت أخشى على نفسى من عاهة أو جنون محتوم.

أخذت اجازة لمدة أسبوع قضيتها أفكر . تحول رأسى إلى- موتور- يشقلبنى بدائرته فأبحث عن مخرج ملائم قبل أن تطحن عظامى . شحذت كل طاقتى لأنجو . قاومت . تصبرت؛ تحملت.

فجأة ! هدأ كل شئ قبضت على قناعة- رغم سذاجتها- إلا أنها الحيلة المناسبة للخروج من المأزق.

إذن : أنا رجل غير عادى . رجل مشبوه . « بنبطرهم ».وماهذه الكائنات سوى أشباحهم النهارية تتسلط علىّ .حتى تولعّت بى حقيقة .وعلىّ أن أبادلها الولع- فلا يفترض بالمعشوق أن يرفض مداعبات .وشهوات وأوامر عشاقه حتى وإن وصلت حد الأذى على أن لا تمس القناعات المترسخة . سأعترف لكم بشئ غريب- منذ أن استسلمت لهذه القناعة التى قد ترونها باهتة وغير منطقية -توقف زحف الكائنات الحقيرة .وانتهى الذى يحدث كل ليلة.

حلم غير قابل للكسر

ظلت رغبتى أن أدعوه ذات ليلة إلى جولة داخل السيارة . نهيم فى شوارع المدينة، نحتسى قهوة طازجة . نلتهم دخان سجائرنا المختلفة . نستمع للأغنيات القديمة التى تعجبنا . نتسكع فى أزقة المواضيع . نفتح نوافذ أحزاننا وأفراحنا ، نتبادلها ونستريح.

رغبة محمومة لا تجرؤ تصل إليه،كأشياء أخرى كثيرة تموج بخاطرى كلما التقيته . بضع شوق يسكننى يتنامى حين ألمحه ممتدا بقامته أمامى ، أو جالسا يحتسى قهوته ساهما فى خيالاته.. وكلمات تكاد حين يجالسنى للحظة ، أن تشق باب قلبى وتفر إليه كعصافير ممتلئة تهمس الشبع فى أذنيه. تلتصق بقلبه وتعترف بأنه أصبح أثيراً لدى ، وأنه يستوطننى منذ شهور. ويحتكر ساعات ليلى ، أحلم به محطمة بأحلامى كل الحواجز التى تفصلنى عنه حين ألتقيه.

لم أجرؤ أبدا أن أدعوه خشية أن يصدمنى رفضه فيموت بداخلى أمل بدأ ينبت كعشب أخضر فى مساحات قلبى الجافة . لم يخطر ببالى أبداً ، أن الصدفة تكون قوس يزف ألوانه المفرحة إلى فى تلك الليلة التى بادرنى فيها بذوق شديد أن يوصلنى إلى البيت.

لم أصدق حتى اللحظة التى أغلق فيها الباب بعد أن زففت نفسى إلى مقعد سيارته المجاور ، وحتى اللحظة التى أستراح فيها خلف المقود .رحب بوجودى . صوته لا يخفى شعوراً

بالارتياح .أو أنا ! تنتفض عروقي . تكاد تنزف دمى أمامه . أشعر بجوع مفاجئ وكأن الفرح قد استنزف كل ما أكلته خلال شهور .

هو بقربى ؟ وأنا التى بقربه ؟ لا يهم .ما دامت الحياة أخيرا تهدينى بعض حبوبها الغنية.

الفرح ينبش نفسه ويزهر حتى وجنتى فتدفآن .حتى عينى فتتدفق منهما ضحكات أطفال ترفعهم أراجيح الأعياد وتنزلق.

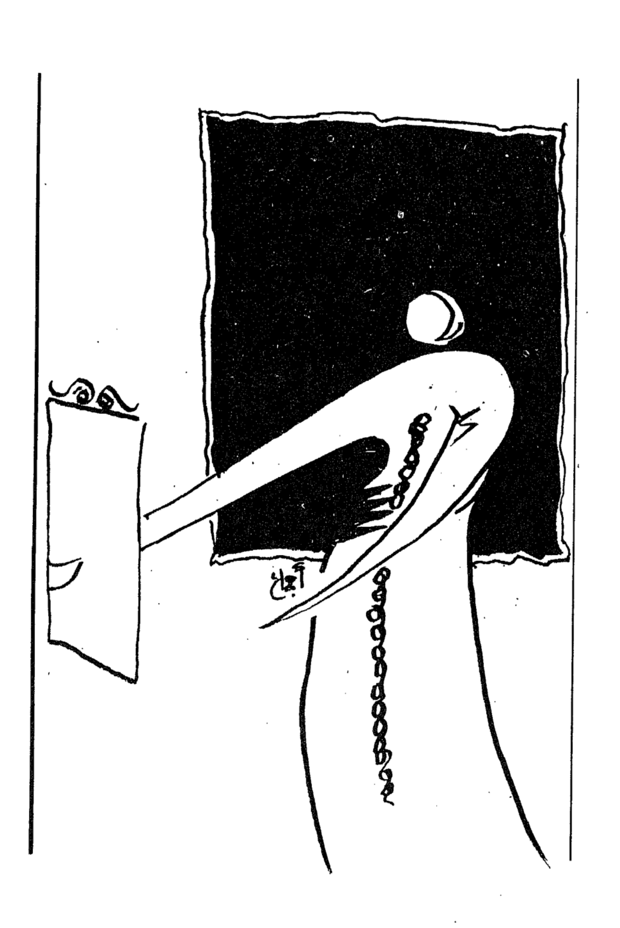
بحنان يضغط على دواسة البنزين ويمضى . وأنا ! أثرثر باعتذاراتى السخيفة أننى أزعجه . فيرجونى بطلف ألا أتصور ذلك . وأنه سعيد حقا أن أكون بجانبه.

تغمرنى رعشة ولذة . أتمنى لو بطول الطريق . تنعدم النهايات والحدود تترك لى زمناً أحقق فيه رغبة أغذيها منذ فترة بالأمل خشية أن نكسل أو تصدأ.

هو صامت الراديو أيضا صامت . توقعته حال جلوسه يمد أصابعه يدس شريطا ينثر رحيقا «فيروزيا».. قد تسطع أغنية تعبر كلماتها ولو قليلا عن مشاعرى القوية التى لا أدرى بالضبط متى فاضت أمطارها وتكاد تنذر بطوفان.

صامت!.

يفتتنى الصمت . أطلق بضع كلمات يجيب عنها باقتضاب . أود لو تغلبنى شجاعتى فأطلب منه أن ينسى طريق البيت ويظل تائها معى فى الشوارع نبحث عن شارع قديم تفوح منه عطور زمن ودعته وما زال لا يودعنى. لكنه يمضى فى الشوارع التى تخترق أضواؤها العتمة . فتضئ داخل السيارة، وقلبى يضيئ . لم يكن يهمنى أن أتأمل أى شئ يتبعثر حولى ، ربما كتب ؟ أو أفكار غير مكتملة الولادة ؟ أو ألعاب أطفال منسية .. وربما إيشارب امرأة فيه رائحة عنقها أو صدرها .حتى خارج السيارة ! لم يهمنى أن أراقب أى شئ ، لا الأشجار التى تنام واقفة يرعشها البرد . ولا السماء التى يتربع فيها قمر يختال بين عشيقاته النجوم ، ولا البحر الذى تتكئ أمواجه على صدر الرمال . شئ واحد كنت أدفع باهتمامى وتأملى نحوه : شئ يتمدد .. يتمدد .. وتفوح رائحته الشهية تدوخنى فيتسع مدار الرغبة أن أقترب ألامس الكف . أشدها إلى .. أبللها بندای . ألصقها بصدرى .



أتزود من دفئها لصقيع قادم.

صامت!.

ضباب صمته ينتشر . ينبت غابات شوك تتجدل أغصانها حولى .أحس وخزها الأليم . أتمنى لو أقلعها شوكة شوكة حتى لو أدمت أصابعى كلها.. و أقذفها إليه . قد يتألم يصرخ . يبحث عن مأوى لجراحة فلا يجد غير عمرى يرتمى عليه . لكننى لا أجرؤ لا شئ يشجعنى وهو رغم رقته ودفئه يبدو كتمثال من الحجر ، أخشى إذا اندفعت إليه يكسر صلبه رأسى وتفتت حجارته مشاعرى .آه .. لو يحس بألمى ! لو يقطفنى من شوكى ، لو يفهم كم اقتاتت رغبتى من ليالى أرقى وشوقى إليه بانتظار أن يتحقق حلمى . ونكون ذات يوم وحدنا ، وتكون كفه التى تلامس آلاف الأشياء لى وحدى أداعبها . ألمس نبضها . وأتركها حديقة مفروشة بالقرنفل . لماذا هو صامت ؟ لو أعرف بماذا يفكر ! ما الذى يشغله عنى وأنا المشغولة به ؟ لو اخترق المسافة إلى عقله ، إلى قلبه ، إلى عمق مشاعره . فلربما ألقاه مثلى يصارع رغبته ويكبحها لأنه أيضا يحسنى كما أحسه تمثالا من الحجر يخشى الاقتراب منه . أقطع صمته . أهمس:

– تقود ببطء .أما أنا فسياقتى طائشة.

صوت الرقيق:

– لا أحب السرعة.. ثم

وأطلق ابتسامة تلألأت قبل أن يضيف:

–أريد أن أطيل الطريق وأنت معى.

مجاملة مهذبة تمنحنى الفرصة . تشرع أبواب الأمل كى أدعوه يواصل الطريق . يبحث عن بيت قديم لم تبق منه سوى شجرة وحيدة صامدة . تختبئ تحت سكونها .فأحتضن كفه بحرية ، أدفق عليها بعض حرارتى ، أبث فى صمتها الحياة .أبللها بدموع تشبه تلك التى نزفتها طفلة تنام وظل أمنيتها يغمرها أن تمتد كف أبيها إلى وجنتها تربت عليه بحنان ،وإلى شعرها تربطه بشريط الأعياد.

أستدير إليه كلى مشحونه بشجاعة مفاجئة .فى اللحظة ذاتها كان يمر كم« دشداشته » ويسقط عينيه إلى ساعة يده فانكمشت عقارب شجاعتى المتحفزة ،وبغباء ليس من صفاتى تصورته تذكر

موعدا آخر يهئ نفسه ليعتذر لي .فبادرت، ابتلعت شجاعتي وفرطت باللحظة.

صامت!.

يقطع صمته بين لحظة وأخرى بكلمة . أو تعليق . لا شئ عنه يرد روحي . لوكان يملك بعض أحساسي الكبير به لعرف كيف يبادر . ليس من رجل لا يعرف أن أول لحظات الحب تبدأ بلمسة كف تعرش بعد ذلك عنبا فوق الوجنات. وكرزاً أحمر بين الشفاه . لو كان لديه بعض رغبتي لما ترك كفه يتجمد فوق المقود بينما دفء كفي بالإنتظار.

مجنونة أنا ؟ أم تراني أبني احلاما فوق الرمال ؟ موجة واحدة تدفق بهدوء كفيلة أن تهدم أكبر القصور. على أن آكون رحومة بقلبي، بمشاعري بأحلامي.

طريق البيت يقترب . وأنا ! اتمنى لو منه أقترب .أفتت جليده أحطم أصنامه . أرتمي على كتفه . أشم عرق الشتاء يبلل عشب جسده . اجذب وجهه نحوي . وأفجر بركاني على شفتيه . لكنني جبانة لا أجرؤ .والخيبة بداخلي تكبر تفرش ملاءتها السوداء فوق روحي والحلم مثل مرآة ينكسر ، لكنني .رغم ذلك أقبض عليه كي لا يتبعثر . وربما يسطع أمل جديد .كلمة جديدة منه تلملم بقاياي . تنصرني على ضعفي فأرتاح.

توقفت السيارة .حلمي لا يتوقف . ينطق به لساني والخوف يملأني أن يرفض دعوتي:

- تشرب معي فنجان قهوة؟.

تردد . طاف بوجهي حزن ربما لمحه فأشفق على . ولبى الدعوة . تبددت غيومي السوداء. انفتح باب الامل في اللحظة التي ترجل وأغلق باب سيارته.

دافئ البيت كقلبي .والقهوة تأتي يتصاعد بخارها ،رائحتها التي تشبه رائحة حبيب يأتي متعبا فيتسرب عرقه الصيفي إلى خلاياي يثير شهيتي لوصل حنون.

الرائحة الآن تفتح نافذة أعبر منها إلى كفه الذى أحلم به . لكنه يرتشف القهوة ولا يشعر بأحلامي . تأملت فنجاني . نظر مبتسماً:

- هل تقرأين الفنجان؟.

اندفع حلمي وفرحي إليه:

- بل أقرأ الكف.

مد كفه .في لحظة تحولت إلى كمان حزين. يدي المرتعشة شوقا

استندت الى الأوتار الرقيقة فيها . تسابع لحن سـماوي بمقدوره أن يرفعني . يثيرني لأفعل ما أشتهي . لكنني تأملت الكف . طويتها وهمست:

– ليس الآن.

غبا . آخر أقهر به قلبي . وأنا مبعثرة الشعور ما بين الرغبة والامتناع . شعرت بالمكان رغم دفئه غير مناسب . أريد مكانا آخر تفوح منه عطور تليق باللحظة . أريد عطر بحر . بيت شعر ، شجرة « بمبر » تنور خمدت ناره ، أو عش عصفور مهجور .فللأحلام أمكنتها الخاصة التي تولد فيها كالأعراس.

لم ألمح في وجهه أسفا ولا خيبة ، وسؤاله البارد:

– لماذا ليس الآن ؟.

هل يتغابى أم يستفزني لأنطق؟ هل أصدق أنه لم يجرب القراءة دون كلام أو أن امرأة لم تعشقه ذات يوم فتتحول طفلة ترضع حليب أمها الشهي؟ .

حلمي انكسر . أدرك أنني سأكسره عشرات المرات قبل أن أجرؤ . ابتسم . شعرت ابتسامته ترتاح لضعفي أو تشمت به . أو ربما تنتصر لخلاصه من مبادرة يخشى عواقبها.

أستأذن بذوق شفاف. فابتلعت علقمي وأنا أودعه . وأشرع له الباب.

كانت السماء متدثرة بالغيوم ، غاب وجه القمر وعشيقاته النجوم لم تبق سوى نجمة واحدة تضيئ ، ولا تذوب في السماء الباردة .وكأنها حلم غير قابل للكسر.



مختارات من شعر عالية شعيب

تلاوة فك براءة المسك فى زعفران جدائل وطنى

١-
كويت
كذبوا حين قالوا:
« يثمر البترول فرحا »
حزينة هى الأشرعة
لم تعد بيضاء
تئن
يؤطرها الزء ان بما لا يستهويه الصبية
يركضون صوب مضخات الذهب
يفتحون أبوابا تؤدى إلى أبواب
فى غرف تمتد إلى غرف
وممرات هى عمرك

كويت
الأشرعة تحن
انفخى فى رئة الحلم
لأبصر
لتهتدى النوارس
ليزكض الزعفران فى رأس أبى
مخنوقا
عينا الحلم مختومة .

أطفالك بلا أجنحة
أسماكك فقدت ألوانها
شواطئك تبكى فضتها
عودى
لرؤى مدينة لا تشبه المدن
لا تشبهها المدن
يرطب سقوفها نفس الطين
يشهق
كلما هب النسيم
مخدرا بعبق صدرك
٢-
كويت
كيف نزعوا عنك الثوب
الذى لا يعرى البحر أخضر صهيله
إلا لمسكه
مزقوا « البخنق » ،مخمل العنبر
قتلوا براءة « شرق ».
كويت
حين أخذوا جسدك
بردت

كويت
خدعوك عندما قالوا:
« يثمر البترول زهرا »
سمموا تفاح خديك

حين عبأوا عطش حمرته بالزيت
أثقلوا عينيك بكحل
لا يعرف خضرة حقول بلا أسوار

كويت عودى
لك نبضى
لك فحيح فستان
يشتهى الرقص على رمش الفرح
عودى لعبق الطين
يغمس أبى قدميه فيه
فيكون نبضة فى حجر
حدقة فى جدار
عودى
لسماء تمس البحر
فيعرى البرنقال دمه
لرغبة تتمرغ بالياسمين
عودى .
لعاشق يفك ضفيرة ليل طويل
بصمت
يرسم أحزانه على صدر جدار
يرشح بتوق الأسفلت للنوير
عودى

٤-
أعرف يا حبيبتى
خائفة
تركت السر يغرق فى رحمك

أصابعك تهئ بالهيل والزعفران
لغة للؤلؤ
تغـــار النوارس من سطوع كبريائه
قلت: هاكم ملح عُمرى
وعشقوك
كويت
كان الله هنا
كان الحب
تغزلين من ماء براءته
غدك
لكن الزيت لم يهدأ
لم يهنأ
لم يقنع بالسكوت بالسكون
خرج منك رغما عنك
كويت
كيف يغتصب الطفل أمه .
سقطت كمئذنة
ولم يعرفنى جسدى

٥-
كويت
أينك
لا البحر بحرك
لا الشوارع شرايينك
لا النبض لحنك
سمعتك



خلفية حمراء داكنة
ستارة كحلية البوح
قمرا محروقا
ودخانا
يضفر جدائل سماء نائمة
اغفرى لى
لم يكن دمى هنا .
لم أستطع أن أكون عباءة
كويت
باض الحمام دما
محمد سقاك دموعه
ذراعا فستانى الأبيض سقطا
وسلحا صرت

-٦
عارية رأيتك
هل أعطتك النوارس خبز حنانها
كويت
منشغلين ساروا فى الاتجاه الآخر
استقلوا رياح الزيت
لاتقوين
محاكاة ذهبها
البحر فى غضبه يصهل
دمى خارجى
والبرد فى
-٧
كويت
هل تعرفيننى
حين غادرت
كان البحر أزرق

يفيض كلما
تلا أبى رؤى الريش
صلاته
تهدهد فى الرّماد السور
السماء تمد موائد مهموزة
بالغبطة
القمر يجلو عمى الليل
فينتشى السر
تخيط له النجمة
من غبش بكارتها حلما
تطوى النوارس عليه
نبض المسك فى أجنحتها

كويت
كان كل ما دونك زيفا
تسكن إليك الحقائق
كان ذهول الأرض فيك
إدراكا
حين تنام صحراؤك
تتبادل الأيام أسماءها،
والشهور مداراتها
وحين تفيق
يصير دمى فى الأشجار
بيضاء
أتمسح فى ألفة الطين
يقشرنى
فتتناسل فى الغرابة
-٨
كويت

حين غادرتك
كانت للأرض جبهة
للناس وجوه
للسحاب لون
للنوارس صوت
للرمل رائحة

ألم تعرفينني بعد
وجهي الذي تنامين على خبزه
يداي تتوضئين في عطرهما
روحي تتكحلين في مرآتها
زعفران ليلى
تحنين فيه قدميك
كويت
كان الله هنا
كانت المعرفة
يستحم الهواء في ضوئهما
اضرمي مرجان عينيك في
رؤوسنا
ليشع نعناع البصيرة فينا

اكنسي بنسيم البحر
ضجر النوم في خلايانا
لنفيق
لننهض
لنقول غير المتوقع
اشعلي الدهشة في أحداقنا

لنمزق شباك الدخان
وننصت
شرفة مغزولة زواياها بالياسمين
تعبر
كويت
أهلك ارتدوا الذهب عريا
بذورا الخصوبة في البترول
وقالوا للسحاب أن يخرج
غزلوا لشعرك الطويل
غروبا تستحم الحموضة في ذبوله
هل سمعت ابتهال الرمل
صلاة النوارس
نواح أبي
البحر نطق
قال لفيروز*أن تخرس
صائم برتقال شفتيك
أشعل الفرح فستاني الأبيض
عرجت الفجيعة في
وبوح المسامير لم يزل حارا
في عينيك

-٩

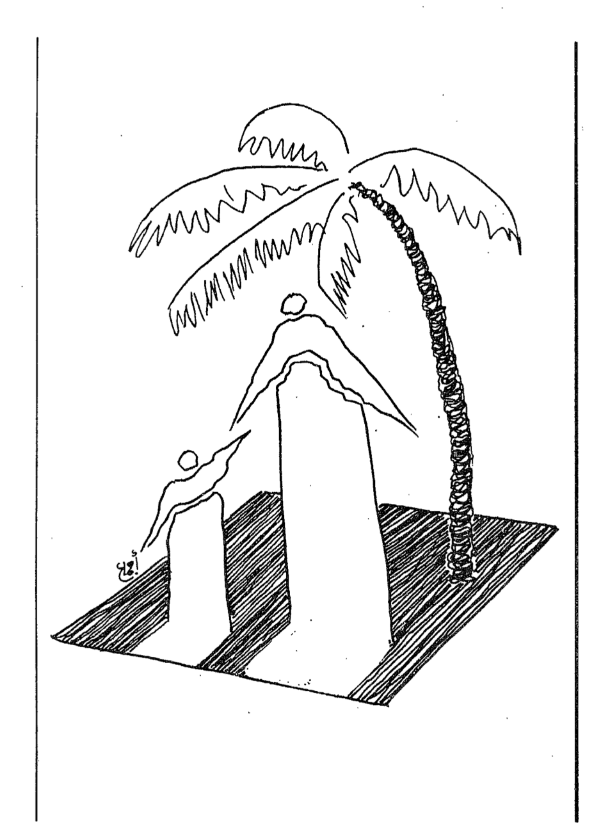
قلبي يطلي هواء بريطانيا
بفوح «اليامال»
روحي تلون الأزهار بالأزرق
الضباب بالملح
الماء بالعنبر

أينك
الروح مثقوبة
القلب شح نوره
منذبة أنا فى فيض تجليك
أبلل الناى
بريش سحابة ضرجها النواح
أحتفي بترنيمة
يحسوها الفراغ على مهل
يتبلنى فوح شعرك
مأخوذة
يغادرني جسدى
مرت شفتاك على قلبى
فسقط الجدار
عباءتك النازلة على السر قبل
البتك
نبعثر القواقع
سجد أبى
مسك الوردة يتدثر
كويت
برتقالة تسبح
الريش الكحلى ينصت
هزى النخلة فى رأسى لأصعد
ثقيل مخمل هذى الستارة على
قلبى
أنست للفراغ
الورقة تكرمشت
دخلنى البياض
فأطلقت المرأة فى دخانها

إغماءة نافذة

-١
محرومة من بوح الوقت
هل
ضهل البحر فى صدرى
حين فض رذاذ العطر
سر الهواء

-٢
قارورة البعد
تشكل خلاصة القرب
-٣
رماد سجائرى
غبارشهوة خاشعة
لسكون الماء
يبتهل فيك
يطرز بالعويل
الذبائح المستلقية فى عريى
كشريحة جنون
نسيتها
أنساها
-٤
أنت
يافخامة الموت المستيقظ
فى أوردة الأمل



-٥
إنه شعرى الطويل
ينزل الآن
كالمطر
أسمع
رويدا رويدا
على فضاءات صمت جسدك
يتلو اشتهاءاته
يكتشف
كهوفه المستترة فى القلق
الموزعة
على شجر الغياب
بلا دروع
بلا نوافذ
-٦
هل أقص خصلة
فيتجلى فجرك فى مرآتى
هل أنزع أقراطى
فتمنحنى صهيل الدماء
تنساب من أنفك
رغما عنى
رغما عنك
-٧
مأخوذا
ترشرش نشيجا دافئا
بيدك
تمنحنى
سكر السم بصمتك
-٨
ليهطل زعفران دمك
محاكيا أطياف الاشتعال
لن
أحترق
-٩
خائف منك
خائفة منى
تأملنى الآن
أشعل لفافة نعناع ببرود
بينما يفض دم أذنك
بكارة الشراشف البيضاء
-١٠
فى وحدتك
وحدك
فى غرفتك
وحدى
الغائبة أمامك
المنغرسة فى أرق الألم
يثقب شريانك
المعبأ بالوجوم
-١١
ل
يهط
ل
زعفران دمك
جميل هذا المشهد
أختلف فى تأملى له
أبتكر غموضا
يبطش بأخطائنا

يعريها يفاجئها يعذبها
ينثرها لعنات طاعنة
فى الغباء
-١٢
قلبى
- هذا الخافق القصديرى-
يجرب الآن الإنصات
لدمه
ودمك
يغتصب براءة البياض
فى الشراشف المجعدة
بقلقك وأرقك
وفزعك فجرا
وأنا ألون الفضاء بتبغى
جنية
أمتصك بغيابى
و
أجن فيك
وأنت تحاور الغازى
-١٣
لم يبق منك شئ
سواى
سوى
إثم اقترفته بطيبة
حين نشرت الحنين
عباءة حيرى
يشاكسها الليل
فيسرق عتمتها

ويتركها حبلى
تجهر الأناشيد
بسرها
-١٤
لم يبق منك شئ
سوى هذا الحب الموهوم
بأسمائه الحبلى
يصيغ من البكاء
طعم روحه
ويختم بالشك
بروق توحده
وانهماره وانفلاته وفورانه
وتدحرجه واستيطانه
-١٥
لا حيز لك الآن
من نفسك
لا وقت لتذوق أحماض
ترابك
صوتك
مخزوم بجنازة راكدة
جحيم الوقت يغتالله
وأنت
تستعير من الأشباح نواحها
و
من المنحنين استعلائهم
من الخراب حكاياه
ومن الصراع أسفازه
ومن الأشلاء ندمها

ومن الحطب حرقة دموعه

-١٦

هل

كنت الملاك الذى هم بقطفك .

من جحيم نفسك

لجنة نفسى

هل أصير النار البرد الزلال.

أم

تحول جنتى

إلى تفاحات حمراء

وارفة بالصراخ

-١٧

أتسخك بحبر ضفيرتى

تشاغب رخام قلبك

هل تتركه مأهولا

بالقطن المغزول

بالانتظار

فى حقل يضج

بالخصوبة

هل تتمهل

فتكثرت

هل تشد وقاد الخطوة

فيشيد البوح قصره الرملى

على راحة كفى

هل تستكين دمعتك

فأكشف عن الملائكة غفوتها

و

أغريها بإثم أبيض

-١٨

جئتك

هل تلون أول الكلام

فأتآمر مع صوتك

ليقترف الإبحار

فى

هيل دفئى

وتوق أسئلتى للأثير

- هذا الهم النافر

من بهائك-

-١٩

تمالك حنينك

يأسرنى ترتيل الماء

حين يفيض فى فناء المقبرة

أخلع حيلتى

وأقشر عنى خبثى ومكرى

وأتأملك

تستأنف سحب جثتك الجميلة

تطارح حزنك اللطيف

لا تسعفنى عليائى

ف

أتهالك

مثل رغبة زاهية الأثواب

أعياها هذيان السديم

فى

أناشيد

ش عرها.

دراسة

ليلى العثمان ومعاناة المرأة الخليجية

عبد اللطيف أرناؤوط

تؤكد الكاتبة الكويتية «ليلى العثمان» حقيقة كثر الجدل حولها، ألا وهى إلى أى مدى يستطيع الرجال أن يلجوا عالم المرأة؟؟ أيضا إلى أى مدى تستطيع المرأة أن تلج عالم الرجال..؟.

إن الذين ينطلقون من مساواة تامة بين الرجل والمرأة ، يرفضون مثل هذا التمييز أى يرفضون مقولة: كل خلق لما يسر له، غير أن ثمة حقائق يتجاهلونها تمليها تجارب الحياة ،فالفروق الجنسية والنفسية بين عالم المرأة والرجل قائمة ، ومهما أتيح للمرأة أن تتساوى بالرجل فى إطار المنظومة الاجتماعية ، تظل هناك فوارق مميزة علىّ مستوى الجنس بسبب التكوين الجسدى والنفسى لكل منهما،حيث لا يمكن أن تتخلى المرأة كليا عن دورها المتميز فى الحياة، إذ أنها تضطلع بمسئوليات الأمومة وتربية الجيل ، ويثبت الأدب نفسه مثلما يثبت علم النفس تلك الفروق التى يحاول أنصار عدم التفريق بين المرأة والرجل أن يردّوها إلى واقع تاريخى وسع الشقة بينهما ، فجعل للمرأة أدوارا خاصة تختلف عن تلك التى كانت للرجل ولكنهم إذ يطرحون هذه المقولةأمام ما تقدمه فيزيولوجية الجنسين من الخصائص

المميزة لكل منهما.

و(ليلى العثمان) فى مجموعتها القصصية (فتحية تختار موتها) تدلل على هذه الحقيقة من ثلاثة جوانب فهى أولا تثبت أنها قادرة على رصد معالم وملامح يتميز بها عالم النساء عامة ، وعالم المرأة الخليجية بصورة خاصة ،وما فيه من خصوصيات لا يمكن لقاص من الرجال أن يلتفت إليها.

وهى من جانب آخر ، فى تناولها الأحداث وسردها وقائع القصة تشعرنا بنبل تعبيرها من حيث رقة العبارة ، وشحنها بالمشاعر الهادئة المهذبة ، وتجنب التعبير الحاد الذى قد يفوت علينا فرصة التشبع بأحاسيسها الراقية ، وإذا كان الأسلوب هو الكاتب ، فإن أسلوب (ليلى العثمان) يشعرك دوما أن ما كتبته لا يمكن إلا أن يكون بقلم سيدة ، سيدة من الطراز الرفيع ، رقيقة المشاعر ، مرهفة الحس ، تحمل إليك القناعة بأن للمرأة طابعها المتميز بالكتابة ،وهو طابع مثقل بغنى الروح وسمو العاطفة.

أما الجانب الثالث فهو الاعتدال ، فالكاتبة (ليلى العثمان) لا تؤمن حين تطرح القضايا الأساسية والاجتماعية بأحادية الحل أو عنفه ،وهى ترفض مايفتعله بعض الكتاب أو الكاتبات حين يجسدون الخير كله بشخصية أو طبقة معينة من الناس ، مقابل الشر كله فى شخصية أخرى أو طبقة أخرى ، بل تذهب إلى أبعد من هذا ، فتبرهن أن لكل إنسان حسناته ونقائصه ، ولكل طبقة من الناس آمالها التى تتجلى فى أن تنال من الحياة ما وهبته الطبقة الأخرى من ميزات ومكاسب.

ففى قصتها : (ينفصل الوطن- تنفصل الطريق) تحسد غنيمة (ابنة التاجر الكبير) زميلاتها الفقيرات لأنها لا تشاركهن متعة السفر المشترك فى باص المدرسة ،فتبدو سيارتها الفارهة عذابا لها ، تؤمن الكاتبة أن الحد الفاصل بين بؤس الطالبات وغنى رغيد هو حد كاذب ،فالحياة الإنسانية غنية متنوعة الخصائص والميزات تحمل فى جوهرها نعما للفقراء لا يفطنون

إليها ، مثلما يحمل مال الغنى إليه ألاما لا يفطن إليها الفقير ،وفى عالمنا الذى يشعر فيه المرء بالتوق إلى المطلق إلى الأمانى ، ينسى لذة ما وهب له الله مشغولا بطلب ما حرمه .كلنا يتعذب فى هذا العالم بسبب عطشنا الدائب إلى الكمال والامتلاء ولكن أى كمال هذا الذى نطلبه إذا كان شقاؤنا يكمن فى ظمئنا نحو السعادة فى حين تكون السعادة بين أيدينا يحسدنا عليها الآخرون.

غير أن (ليلى العثمان) لا تريد من وراء ذلك أن تسوغ ما فى الحياة من ألوان الحرمان والتفاوت الطبقى ، فهى تدافع عن العدالة الاجتماعية وتنشدها ، إلا أنها ترفض مقولة حصر الحرمان بالمسألة المادية ،إن المال وحده لا يوفر لذة الروح، ولو كان المال مصدر السعادة لكان الأغنياء أسعد من دب على وجه الارض ،فى حين أنهم فى الواقع أشد عذابا فى شرك المال المنصوب لهم من الفقراء أنفسهم الذين يسعون إليه.

والكاتبة (ليلى العثمان) تبرهن على غنى روحى ثر، وتضع للإنسان أهدافا نبيلة فى الحياة ؛ تدفعنا إلى التبصر بالنعم التى وهبت لنا والتمتع بها ،إن اللحظة العابرة لن تعود ،وحياة المرء محدودة ، فمن المؤلم أن يقضيها المرء راكضا وراء أهدافه غير المحققة دون أن يتمتع بما يمكن أن تحقق له سعادة الحياة ..(غنيمة) الطفلة فى قصتها مثلا هى رمز البراءة ،وهى ترفض أن تتميز عن زميلاتها الفقيرات فى المدرسة ،وتجد فى هذه الحدود الطبقية التى تقيمها أسرتها قيودا لها تحد من سعادتها وانطلاقتها فى الحياة، زميلاتها يكتشفن نبلها ويدركن أنها من طينة لا تختلف عن طينتهن ، فهى إنسانة قبل أن تكون غنية وسعادتها لا تتحقق فى غناها ،وحين يقيم أهلها الحواجز ، إذ يعزلونها عن زميلاتها إنما يقيمون سداً بينها وبين إنسانيتها وسعادتها.

***

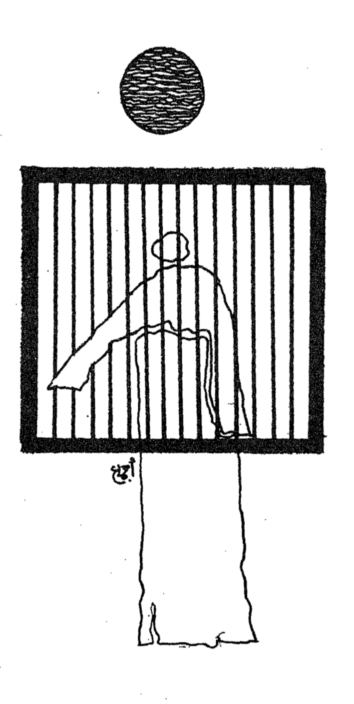
فى المجموعة اثنتا عشرة قصة قصيرة ،منها عشر قصص على الأقل

تتناول عـالم المرأة ، وقـصـتـان لا تنفـصـلان عن ذلك العـالم إلا فى الظاهر ،فـهـمـا تمتان إلى هذا العالم الأثير لدى الكاتبة بصلة وثيقة.

عـالم المرأة فى الخليج العربى هو عـالم (ليلى العـثـمـان) المفضل ،وهو عـالم يمثل ظاهرة خاصة ،لأنه يحمل قـيم الماضى ،وبالمقابل يتـفـتح على الحـضـارة الحديثـة والمعـاصـرة ، إذ يتـجلى صـراع القـيم فـيـه بأوضح صـورة، قـيم الماضى الموروث مـقابل الحاضر الذى يتـجـه نحـو التـغـيـيـر ،والقـيم المادية التى وفـرتها الثـروة مـقابل قـيم الروح الشـرقـيـة ،ومـثل الدين الإسلامى السامية.

وتطالعنا (ليلى العثمان) فى أول قصص المجموعة بهذا الصراع الواقع على الشخصيات وآثاره ، ففى قصة (فتحية تختار موتها) توضح الكاتبة أثر الانفـصـال الزوجى فى حـيـاة الأطفال ، فـتـحـيـة وأخواتها ممزقات بين أم متزوجة من غير أبيهن ، وأب متزوج من امرأة أخرى ، الأم فقدت عاطفة الأمومة ،تحولت إلى مخلوق قـاس لايرحم فـتـحـيـة ترفض زيارة أمها بعد أن عانت عذاب قهرها ، الأم تغضب وتصب غضبها على اخواتها الطفلات، زوجها يتفرج ، تخرج الأم لإحضار البنت الغائبة ، تسكب عليها حنانا زائفا ، تستدرجها إلى بيتها ، تخلع عـبـاءتها ، ترفـسـهـا ،تحـاول الطفلة أن تتـقى غـضب الأم ، لكن عبـثـا ، لا يناصرها أحد.. تستـغـيث أختـهـا،الرجل ،ينهال على جسد الأم(الخنفساء) بالعصا .. تحبه الفتاة لأنه فهمها ، تموت فتحية بلا ثمن.

تـعـرض (ليلى العـثـمـان) قصـتـهـا بسرد تقريرى يتخلله الحوار ، لكنه سـرد مـن النـوع الانطبـاعـى الذى تبتعد فيه عن الواقعية التسجيلية وتكثف السرد تكثيفا يجعله أشبه بضربات ريشة فنان يريد أن يضفى على اللون والشكل مشاعره الداخلية ، فـيـخـرج القـارئ من القـصـة وفى نفـسـه مـا وفـره الأسلوب من تأثـيـر وانطباعات ،غير أن تكثيف الحدث منح تـفـاصـيل القـصـة لونا من الغـمـوض ، فـهـذا الرجل الذى هـوى على(الخنفساء) لا يدرى القارئ أهو والد الفـتـيـات أم زوج الأم أو رجل



معترض .. وفتحية تموت فلا نعرف سبب موتها.

لا تهم التفاصيل بذاتها وإنما الأهم فى نظر الكاتبة إدانة العنف الذى جعل قلب الأم يقسو كالحجر ،وتحليل دواعى تلك القسوة التى تتعارض مع حنان الأمومة.

وفى قصتها الثانية (ويبقى الصوت حيا) تجسد الكاتبة مشكلة الفتاة الشرقية فتبرز التابو المفروض عليها ،وتحسن استغلال الأدب الشعبى الكويتى ،وملخص القصة أن أهل الحى يسمعون فى كل ليلة موالا حزينا يردده صوت نسائى معذب ،يقول الموال:

قلبى على طريق أخضر
شالوه من أيدى
ما شافته العين
وما رضعه وليدى
عينى عماها ملحها
والنار ع خديدى
أصرخ وجمرة فى الحشا
وينه ترى وليدى

وتحار نساء الحى فى تعرّف صاحبة الصوت ، ثم تبين لهن أنه صادر من بيت (أبو شهاب) غير أنهن لا يفهمن سرّ الموال الذى تردده ابنته إلا حين يكتشف أطفال الحى خرقة مدفونة فى الرمل فيها جثة طفل مولود ومخنوق، وتنتشر الفضيحة ، ويدور اللغط ، ويشهد الناس فتاة تنكب على الحفرة الفارغة تمزق رملها ،وحين يخيب أملها فى العثور عليه تردد موالها المعهود وهى تنتحب وتهطل دموع الرجال ويسود صمت قاتل ،حاولت امرأة أن تهدئ الفتاة ،فقدمت لها طفلها الرضيع مدّعية أنه الولد الموؤود لكن صرخة قاتلة سبقتها ،ونصل سكين غرسته أصابع الفتاة فى صدرها المعذب . دفنوها لكن عينيها ظلتا مشرقتين على هذا الأفق الجامد.

خيوط القصة تقترب كثيرا من رواية «يوسف إدريس» المعروفة «الحرام» غير أن «ليلى العثمان» ركزت على الظاهرة كلون من ألوان الكبت الاجتماعى فى حين عنى يوسف إدريس بتبين دوافع الخطيئة وأبعادها الاجتماعية ، وتبدو الكاتبة إذ صاغتها بنفس ملحمى رومانسى

أكثر إقناعا فى لفت انتباه القارئ إلى معاناة الفتاة العربية فى مجتمع صارم لا يرحم ،إذ تصطرع عاطفة الأمومة مع الإرهاب الاجتماعى ، ويكون النصر آخر المطاف للإنسان المضطهد ،حتى الرجال الذين صنعوا قانونهم الجائر يبكون.

لقد نجحت الكاتبة حين حملت الموال كل آلام المرأة الشرقية فاستغلت الفولكلور الشعبى برموزه للإفصاح عن معادلة الموضوعى ،وهو طموح المرأة إلى الحرية.

وفى قصتها (على سفر) تتناول الكاتبة مشكلة استبداد الزوج بالأسرة وغطرسته مقابل تطامن المرأة الشرقية.

الزوج هنا تاجر موسر ، لا يفهم إلا قيم المال ، ويعتقد أن كل ما فى الحياة يمكن أن يتحقق بالنقود ،يهين زوجته ويضربها ثم يرضيها بهدية ثمينة تتجاوز آلاف الدنانير ،يسخر من رغبة ولده فى متابعة التعليم ،ويقول له:

– التجارة شهادة والمال شهادة .. أنظر إلىّ .. هل معى شهادة ومع ذلك حققت لكم ولنفسى كل شئ ، ثم يقدم لابنه مفاتيح سيارته الرولز رويس يتنزه بها على الشاطئ ويطارد الفتيات.

الزوجة تطلب حنانه لامباله ، لكنها مسحورة بهداياه التى تتباهى بها أمام جاراتها ،يسافر كثيرا ، يخون زوجته وهى تعرف ذلك، تلحظه من حمرة الشفاه على ثيابه ، لكنه ينهرها قائلا:

– موشغلك..

يموت فجأة..!!

زوجته تقول: تتساءل أبنته : هل تحبه أمى ..هذا الذى عذبها وأهانها .. هل يكفى أن يكون رفيق دربها ، وأبو أولادها لتبكيه ، ولكن المرأة بوفائها الذى يشبه وفاء الكلب ، ووفاء خادمه الذى كان يضربه ، تذرف الدموع ، مثلما يذرفها خادمه المسحوق .. ابنته تتساءل: هل أفرح لأننى تحررت من سجنه ، لكنها أخيرا حين تلمح نعليه المتراكبين كأنهما واشيتان بسفر لا رجعة وراءه

.تذرف دمعة البنوة.

تريد الكاتبة (ليلى العثمان) أن تقول: فى حياتنا الوجدانية آفاق لا يمكن تفسيرها ،وفى قلب المرأة فيض من الحنان لا تجففه حرارة الشمس، وفى قلوب المسحوقين من الوفاء ما يجعلهم يتألمون لنهاية الجلاّد ،إنها دعوة صريحة ليتنازل الرجل الشرقى عن سلطانه وغروره ، ليشارك أسرته آلامها وآمالها ، وينطلق من أفق إنسانى فى العيش المشترك مع أفرادها.

كتبت (ليلى العثمان) قصتها بأسلوب الاعتراف أو البوح الذى رفدته بفواصل سردية جسدت من خلالها وعى الجيل الجديد المتمثل باعتراف الابنة ،وهى من طينة تختلف عن طينة أمها إذ وفر لها العصر والثقافة كل فرص نمو الشخصية وتكاملها ونضجها.؛

وفى قصة (الشمس وضحاها) عرض لوضع الفتاة الشرقية المغلوبة على أمرها ، بطلة القصة فتاة ابنة تاجر تتعلق بشاب يسكن فى جوارها ، يتبادلان النظرات عبر النافذة ،غير أن الأب، يرفضه لفقره، ويزوجها من كهل غنى نغص عليها حياتها ، فتتمرد عليه . ويهددها ثم تلتمس منه أن يهيئ لها مرسما تتسلى به ،هناك فى المرسم تستعيد الوجوه القديمة كلها التى أحبتها .وجه رفيقتها التى كانت معها فى المدرسة ،وجه (كريم) الذى أحبته تحقق لهذه الوجوه حياة على الورق بعد أن افتقدتها.

وفجأة يتهادى إليها صوت(كريم) يدعوها للحياة ، ينقذها من موت فراغها ، هل تلبيه ؟ .. تحتار ، تتردد تقرر إرجاء الفرصة لتفكر أكثر فى نتائجها ، تصمم على الاستسلام له، تذهب إليه وفق وعد مضروب فلا يأتى ، تكتشف أنه جاء ليراها من لندن لمدة يوم واحد ، وأنها فوتت فرصة العمر ، تنسحق وهى تقرأ بطاقته التى يعلن فيها سفره ، عادت إلى مرسمها ، بدا لها كل شئ معتما ،حتى الوجوه على الجدار عمياء بلا عيون ولا ثغور .. وأغمضت عينيها ، لا بصيص أمل ،وليس أمامها فى الظلام إلا وجه العجوز الأدرد.

تفضح الكاتبة فى القصة الزواج غير المتكافئ فى مجتمعها الشرقى ،والقيود المفروضة على الفتاة ،إذ لا يتاح لها أن تختار شريك حياتها ، وقد استمدت فى سردها طريقة البوح والاعتراف أو تداعى الخواطر ، وأجادت فى شحن عباراتها بصياغة شاعرية مؤثرة ،أسهمت فى تصوير الاعماق الداخلية للبطلة،كما أحسنت التعبير عن الحالة النفسية لها بالرموز ،فقدأمسى ثقب الباب الذى كانت تلتمس منه حريتها فى بيت الزوجية أوقلقها، أمسى أملا يتسع لينفذ إلى عوالم وقارات حيث يعيش حبيبها ، لكنه يضيق بخيبة أملها حتى لا ينفذ منها أى شعاع أمل من الحرية.

وفى قصة (المدينة ، الحلم) تعزز الكاتبة اتجاهها نحو الاستبطان النفسى ،فتضع البطلة والبطل على حد السيف ، على شفة الاختيار ، فبكلمة واحدة يتقرر مصيرهما ،من قبل جربت البطلة رهبة الاختيار حين طلق أبوها أمها ، وتنازعا عليها ، ثم ترك لها القاضى فرصة اختيار أيهما لتعيش معه ،كانت حرية الارادة مرة ،وكيف تختار بين حبيبين لا يتمايزان ، كلاهما ضرورى لها ؟ وأخيرا أختارت .. لم تختر الأب أو الأم بل أختارته هو حبيبها .. فهل يختارها هو.. هل يكونان معا ..فيبنيان مدنا جديدة .. كتبت ليلى العثمان قصتها بأسلوب البوح والاعتراف أيضا ،وهى تنتقد فيها ما تجره الخلافات الأسرية على الفتاة من ألم ،فحب الأبوين لا يتجزأ ..وهو ليس ورقة يانصيب يغامر بها الولد ،إن حرية الارادة محمودة إلا فى الموقف المؤلم ،وليس أشد ألما من أن نختار ما نحب ، وقد حرصت الكاتبة بتحليلها النفسى الدقيق للبطلة أن تبرز أيضا صعوبة أن نختارشريك حياتنا لا لأنه المحبوب ، بل لأنه المنقذ أو المحرر لنا من مآسينا ،وهنا تحرص الكاتبة على أن تجعل الفتاة هى التى تلتمس حب الفتى وتطلب يده ،على عكس ما يجرى فى مجتمعنا ، لتبرز المهانة التى جرها خلاف الزوجين ،ولتصور تمسك الفتاة بأمل يحررها من فرصة

اختيار مؤلمة.

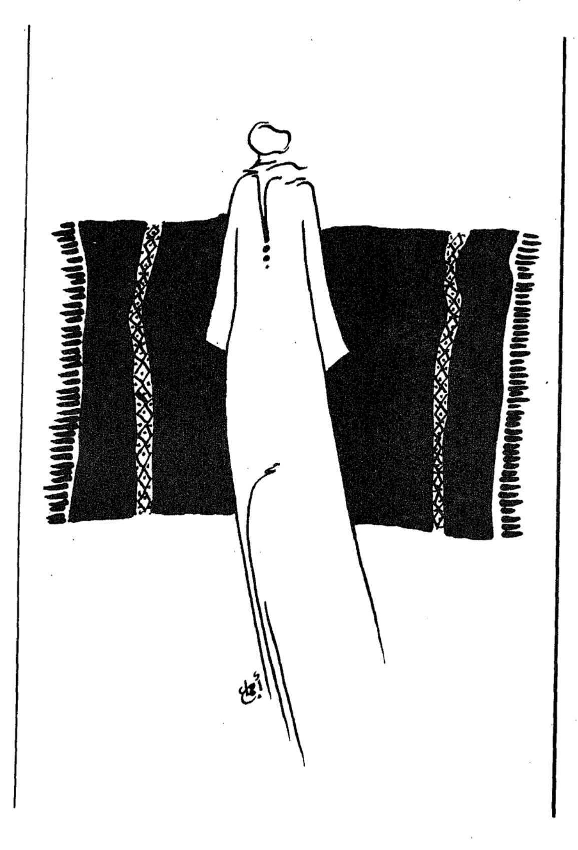
وفى قصة (لا يصلح للحب) تعود ليلى العثمان إلى معالجة المشكلة ذاتها ، الطلاق يقع والزوجة على باب المحكمة، وقد صدر الحكم أخيرا بتحريرها من رجلها الذى لا ينجب ،وتصر على الانفصال لأنها امرأة تريد أن تمارس رسالتها فى الحياة، وأن يكون لها طفل تحضن وجهه .. تخرج من المحكمة وهى تتنشق عبير الحرية ، فيطالعها وجه شاب جميل الملامح ،عميق النظرة ، أسود العينين ،فى لفتته شهوة ومكر ،حدجها بنظرة ود لكنها خيبت أمله ، لم ييأس ، طاردها ،وفى المساء اتصل بها هاتفيا .. هل تواعده؟ هل ترتمى من جديد عند قدمى رجل لا تعرف عنه شيئا ، تتردد ثم تعتذر له، بل تقبل ، لكنها تشعره أنها تخشى الفضيحة . إن غريزة الأنثى فى أعماقها وعطشها يغريها .. لكن حصانتها ترفض ، إنها محتاجة إلى رجل حقيقى ،وليس إلى عابر سبيل له نظرة صقر مفترس ،تتمزق ، لكنها أخيرا تطوى نفسها ،وتعانق دفء المكان ، وتطرد عينيه الجميلتين محاولة أن تنسى.

تحسن (ليلى العثمان) فى هذه القصة اختيار المواقف ،حيث يبلغ الفراغ النفسى ذروته ، لكنها تؤثر أن تخضع البطل للظروف لا لحريته الذاتية ،على نقيض كاتبات أخريات كالكاتبة «غادة السمان» التى تحرص أن تتجاوز التابو ،والموقفان لهما التأثير ذاته بل لعل انهزام البطلة بدل انتصارها يكون أقوى أثرا فى نفس القارئ لنصرتها وتقدير معاناتها.

وفى قصة (دقات المطر) ربط جميل بين إيقاع الإرادة وإيقاع الطبيعة المتمثل بدقات المطر ، وطرقات قدمى بطلتها على أرصفة الشوارع فى باريس . بطلة القصة طالبة مثقفة يسمح لها أهلها أن تتعلم فى باريس ،وحين تعابث أخاها قائلة:

-وإذا أحببت شابا فرنسيا .. هل أتزوجه؟.

قال لها: لا أتصور أنك ترتكبين حماقة كهذه ، وأنت تعرفين الأصول



وتقاليدنا ..(القيد نفسه).

وتسافر الفتاة لكنها لا تلتقى فرنسيا فى غربتها ، بل شابا من أبناء جنسها ،من قطر عربى آخر ، تعيش أسرته فى بلدها ، يجالسها بلطف ،وتفهم منه أنه يدرس فى باريس بعد أن سحبت منه الجنسية عند اتمامه الثانوية وفق قوانين البلد ، وتفهم منه أنه يعمل ليعيش ويعرف أنها غنية هاهنا حاجز آخر يقام فى طريق تواصلها معه ،ويفترقان .. لأنهما ليسا من طبقة اجتماعية واحدة.. وتبقى الفتاة وحدها ، تذرع شوارع باريس وإيقاع قلبها الرتيب يتناغم مع دقات المطر المنهمر ، ووقع حذائها على الرصيف.

والكاتبة «ليلى العثمان» فى قصتها التى صاغتها بأسلوب سردى تقليدى وبسيط . تثير مسائل على غاية من الأهمية بالنسبة لحرية المرأة ، أولها الحاجز الدينى الذى يحرم عليها أن تتجاوز ما رسمه الدين ، وثانيها الحاجز الاجتماعى ،فحين تتوافر الشروط الدينية لابد من شروط أخرى منها المستوى الاجتماعى.

فماذا تفعل الفتاة ؟ ليس لها إلا أن تنتظر ليأتيها صاحب الحظ مفصلا وفق هذه الشروط ،وقلبها يتمزق لأنها محاصرة فى أرض لا تستطيع اختراق حصونها التى فرضتها العادات والتقاليد ،هنا تغدو باريس أو أى مكان فى العالم قلعة بالنسبة إلى الفتاة ، لأنها تحمل فى أعماقها كما تقول الكاتبة أسوارها وقيودها أنى ارتحلت.

وفى قصة (الصرخة فى فم الثعبان) تنحو ليلى العثمان منحى رمزيا ،إن بطلة القصة تحتفظ فى أعماق روحها بعُقدة الانتهاك ،فالصرخة ترافقها وتعذبها ،تحاول ابنتها أن تبعث فيها الحياة ،تعزف لها موسيقى تحبها ، لكن الثعبان ينزلق فوق جسدها المرتجف . إنها تخشاه ، قد حذرها منه أخوها ..غير أن الموسيقا تخدرها تبعث فيها نشوة الحياة ، وتستسلم أخيرا للمس الثعبان المنساب فوق جسدها ، فتلتحم به وتندس فى صدره ،وتنام على لحمه الدافئ.

فى هذه القصة النابعة من لاوعى الكاتبة ترصد الصراع الذى تعانيه منه كل امـرأة ، بين رهبـة الإثم وحاجات الجسد ، بين الخطيئة المدانة ،وحق الحياة المشروع .ولأول مرة تجعل (ليلى العثمان) حاجات الحياة الطبيعية هى المنتصرة ،حين تكتسح البطلة رهبتها وتستسلم.

وفى قصـة (زهرة تدخل الحى) تجعل الكاتبة من(زهرة) رمـزا لرياح التغيير ، تلك الفتاة الغريبة القادمة من المجهول تبدّل وجه الحى ، تحبها نساؤه ، بفضلها يتحررن من حكمة «أم محمد» العجوز التى تعرف أصول الحياة ،تخاف النسوة على أزواجهن من زهرة .. لكن(زهرة) لها زوج بعيد ،وهى تتقن أعمالا عديدة ، ترى «أم محمد» فى قدوم زهرة فتنة للناس فتحذر منها ، غير أن زهرة تصادر نفوذها ، تستقدم أهلها وتشترى بيوت الحى ، ويشعر الناس أنهم وقعوا فى المصيدة . تعود النسوة إلى« أم محمد» ،تصطدم أم محمد بزهرة ،تعيرها زهرة بعجزها ، تعيرهم جميعا بأنها بالمال امتلكت بيوتهم وبدّلت وجه الحى ،فغدا جديدا ،تهدد بأنها ستطرد الجميع ،حاولوا أن يدافعوا عن وطنهم ، لكن زهرة غزتهم من الداخل ، إن بيوتهم أصبحت ملكا لها.

ترصد الكاتبة «ليلى العثمان» فى قصتها (رياح التجديد) التى قلبت وجه الخليج ، وتسربت إلى كل بيت حيث انهزم أمامها الماضى بكل ما فيه من خير وجمال وأصالة ،ووجد أهله أنفسهم عاجزين عن التراجع والتخلص من الغريب الطارئ ،هذا إذا لم تكن الكاتبة تقصد أمورا أخرى ، أو معادلا موضوعيا غير ما ذكرناه كهجرة اليهود إلى فلسطين أو أى هجرة ثانية إلى دول الخليج ،فالغرباء ترتدى نساؤهم السواد ،وفى هذه الحالة يكون للقصة طابع اجتماعى سياسى.

وتأتى القصة ما قبل الأخيرة فى المجموعة (وحده يبقى فى الظل) وهى قصة ذات طابع إنسانى ، لا تخرج عن دائرة المرأة، موضوعها فتى شاب

فقد عينه وهو طفل ، بسبب جمرة سقطت على عينه وهو نائم من يد الخادم ،وكان يهتم بشاربى (النارجيلة) من أصدقاء الأب فى مجلسه ،فالتهبت عينه ، لكن الأب أهمل تطبيبه .ولجأ إلى الطب الشعبى ، وبذلك نشأ محيسن (أعور) يعرف بين رفقائه بهذا اللقب الذى يجرحه ،ويحاول الفتى أن يعوض نقصه باختراق البطولات . يخمد الحرائق ،وينقذ رفيقا له سقط فى حفرة ،فيغدو مضرب المثل فى الشجاعة ، ويتعلق بفتاة تدعى(أمونة) فيحبها ، لكنه حب من طرف واحد ، فهو لا يجرؤ على مصارحتها ، ويخدعه زملاؤه فيزعمون أن أمونة صرحت أنها ستحبه إن أكل الزجاج .. فيصمم على أن يأكل الزجاج المطحون إكراما لرغبتها ،وهكذا تتمزق أحشاؤه فداء لحب عميق جارف لم تعرف عنه المحبوبة شيئا.

للقصة طابع نفسى تربوى ، فهى تعالج معاناة أصحاب العاهات ،وقسوة المجتمع عليهم ،وتعويضهم نقصهم بتبنى قيم خارقة ،وقد أجادت (ليلى العثمان) رسم شخصياتها وبيئتها المحلية ،من خلال عادات المجتمع المحلى ،ولعب الأطفال والحوار الطفولى الذى يجرى بين شخصياتها.

***

هذه لمحات عابرة عن القصص التى تضمها المجموعة القصصية (فتحية تختار موتها) للكاتبة المبدعة (ليلى العثمان) وما أحسب إلاأنها تغرى بقراءتها ،والاستمتاع بأسلوب الكاتبة الهادئ والمتدفق كموج البحر بحسب ثورة نفسها وسكونها ، وستظل أكثر كاتباتنا إيمانا بالتوجه الهادف الذى يتسلل إلى النفس رخيا ، فيحدث فيها من التأثير أكثر ما يفعله الأدب العاصف.

شعر

قصائد قصيرة

هاشم شفيق (لندن)

مصـــائر

إبنتى
تبحثُ الآن
فى ركبتى
عن وسادتها ،
سأقصُّ الحكاية تلو الحكايةِ
حتى تنامْ
سأحدّثها عن حرير القمرْ
أحدّثها عن مياهٍ ملونةٍ
عن ملاعبَ تمشى
وعن مدفنٍ للكنوزِ فى شعرها
سأُحدّثها عن نجومٍ مبعثرةٍ
تتطايرُ من غدها مثل ريشِ الحمامْ
أُحدّثها فى المساء
عن البرتقالة زرقاءَ
عن جبلٍ يتحرّكُ فى الليلِ

نحو البيوتِ
عن الفيلِ أبيضَ،
عن كلّ شيءٍ،
ولكننى أتهرّبُ حين تسائلنى عن حياتى،
فتغفو على ركبتى وتنامْ.

بائع الحدقات

أنا بائعُ الحدقاتْ
مَن يريدُ عيوناً جميلة ؟
لدىَّ عيونٌ ملوَّنةٌ
هذه العينُ خضراءُ
بارزةُ النظراتِ
وتصلحُ للنسوةِ الشقْرِ...
هذى العيونُ خضيلة
تفيدُ فتاةً خلاسيَّةً ونحيلة
وهذى مهدَّبةٌ
ذاتُ جفنٍ محنىّ
لها رؤيةُ النَّسرِ
مَن يشتريها
لسمراءَ من قومكمْ؟
بائعُ الحدقاتِ أنا
ولدىَّ عيونٌ مَلونَّةٌ
من زجاج شفيفْ
عيونُ حديدٍ ومعدنْ
فمن يشترى مقلةً برغيفْ

شتات

كلانا يسيرُ إلى البحرِ
كى يغمرَ الروح بالرملِ،
منتضيا نجمة القاع
أو صدفاً وقناديلَ بحريّةً،
وكلانا إلى قدحٍ من نبيذ الجبالِ
يسيرُ مئاتِ الخطى،
صاعداً
نازلاً
باحثاً عن « حوانى » القرى
عن مجامرَ ليليّةٍ
ولحوم قديدة
وسيّدة ذات ناىً
تغنى عن الغرباءِ وأسفارهم
فى ليالى الشتاءِ
كلانا يحبُّ الأغانى
ويسمعُ عبد الوهابِ
وصوتَ نجاةِ الصغيرةِ
أو يسمعُ الوتريّاتِ الخفيفةَ
من لحنِ شوبانَ
مستغرقا فى خريرِ النوائى.
كلانا إلى الصمتِ يمضى
لكى يشربَ الريح عبر الزجاجِ
ويقضمَ ذاك السديمَ بخبرته
علّه يجدَ الغيمةَ الأرجوانيّةَ المشتهاةَ

لرحلته داخل النفسِ ..
داخل عمقٍ تجهّرَ فيه الضباب.
كلانا إلى الكلماتِ
يجئُ ليقلبها
كالسلحفاةِ على ظهرها
ثمّ يغسلها من غبارِ السنين ،
لكيما يبعثرها
علناً فى النهارِ على الطرقات،
فيحملها من يشاءُ ويمضى.
كلانا إذن واحدٌ
فعلام إنتأينا عن الروحِ
حتى غدونا الشتاتْ

الجسر

يدهشنى منظرُ جسرٍ خشبىٍّ
فى الفجر ،
تمرُّ عليه خطىً نعسى
أغنامٌ تعبُرهُ
ورعاةٌ خضرُ الهيئةِ،
تعبُرهُ النسوةُ
بسلالٍ وزنابيلَ ،
وتعبُرهُ شمسٌ ومواويلُ،
عروسُ الريف
تكونُ مخضبّةً
بالحناء وماءِ الوردِ

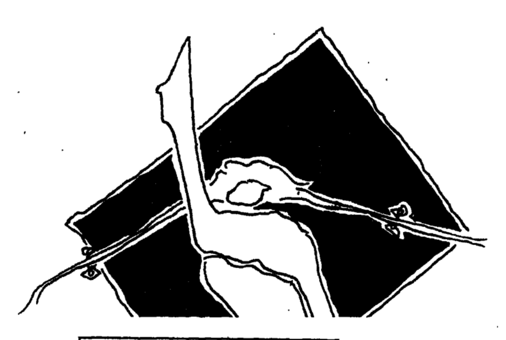
ويعبُرهُ جندٌ مرتبكونَ.
مياهٌ فوق الجسرِ
وتحتُ سماءٌ،
كم قدما عبرتْ هذا الجسرَ،
وأيةُ أسحار حضنَتهُ؟
وكمْ ضلعا للجسرِ؟
وأىَّ ضفافٍ يخفى الجسرُ المتوارى
فى قوسٍ قزحى؟
ياالجسرُ الخشبىُ
ترى أيّة أسرارٍ
ستقدمُ لى
حين أمرٌ عليك بأسئلتى؟

القلق

مئذنةٌ فى صغرى
كنتُ أرها مائلةً
الريحُ توافيها
بأوراقِ الصفصاف
بأغصانٍ يابسة يلفُظُها نهرُ البلدةِ،
فالقلقُ ذاكَ الحيرانُ،
بنى فى قمتها بيتا.
كنتُ أراهُ يفكرُ
من معتزله الحجرى
بأطلال البلدةِ.



بالآفاق المجهولةِ
والأبياتِ الريفيَة
كان أميرا فى قمتهِ
ملكا للريحِ
وللأمطارِ،
وكان على رجلٍ واحدةٍ يقفُ
حزينا ، ممتلئا بالريبة،
يرقبُ اطلاقات تأتى
من جهة نهرية
فيطيرُ بعيدا
فى المنقارِ ترابُ البلدةِ،
فى القدم
خيوطٌ من طيارتى الورقية.



جرّ شكل

د. ماهر شفيق فريد / هذه القلوب الحائرة فى البريد

خالد سليمان / المسلم القبطى

محمود الأزهرى / رسالة شخصية

فريد أبو سعدة / زكريا كرومر

ماجد يوسف / فقه النفاق

حلمى سالم / الارهاب والكباب

هذه القلوب الحائرة فى البريد !

ماهر شفيق فريد

من أمتع الأبواب فى صحافتنا اليومية ومجلاتنا الأسبوعية على السواء باب " قلوب فى البريد" أو غير ذلك من الأسماء : إنه الباب الذى يتولى الرد على مشاكل القراء العاطفية ، ويمحضهم النصيحة.

هو باب ممتع لأكثر من سبب: أولا لأنه أشبه باستراق النظر من ثقب الباب إلى أسرار الآخرين ، رجالا ونساء ، ورؤيتهم على حقيقتهم وبلا أقنعة اجتماعية من النوع الذى نلبسه جميعا فى المناسبات ، وقد نتعود على لبسه حتى يغدو الوجه والقناع شيئا واحدا.

وهو باب ممتع لأننا جميعا قد جبلنا من نفس المادة الذهنية والجسدية والروحية التى جُبل منها كاتبو هذه الرسائل ومحررو الباب : فهناك إحساس بالمشاركة ينتظم الأطراف الثلاثة: صاحب المشكلة ، والمحرر ، والقارئ . إن لسان حالنا هو : إنى إنسان ، ولاشئ إنسانى غريب عنى . فنحن جميعا قد مررنا - بالواقع أو بالخيال - بكثير من المشكلات التى يطالعنا بها الباب . ونحن جميعا قد احتجنا - فى وقت أو آخر - إلى النصيحة والإرشاد ممن نثق به . ونحن جميعا قد لعبنا - فى بعض اللحظات - دور المرشد الذى يساعد صديقا أو أخا أو ابنا على اجتياز أزمة مادية أو نفسية.

والمتعة التى نجدها فى قراءة هذا الباب ترجع أيضا إلى أنها تمدنا بنوع من العزاء : فان من رأى مصائب غيره هانت عليه مصيبته . والقصص التى ترويها هذه الرسائل - لو صدقت - تشتمل على فواجع تمزق القلب وترج الضمير . وفيها أيضا - من زاوية أخرى - عناصر من الفكاهة بل من الهزل الصراح .

قلت فى فقرتى السابقة: " لو صدقت" . ذلك أنى لاأشك أن بعض هذه الرسائل ملفق تلفيقا ، أو خليط من الصدق والكذب والمبالغة، فالكائن

الإنسانى - كما يقول ت.س. إليوت فى ديوانه " أربع رباعيات - لايتحمل الكثير من الحقيقة. ويا لخداع النفس - دع عنك خداع الآخرين - الذى تنم عليه هذه الرسائل ! كم من فتاة تقول عن حبيبها الذى تعقدت علاقتها به : أنا واثقة أنه يحبنى حبا جنونيا ولايستطيع أن يعيش بدونى! وهى إنما تخدع نفسها وتكذب عليها ، لأن هذا هو ماتريد أن تؤمن به .. فالذى تسميه هذه الرسائل حبا ليس عادة - من جانب الفتى على الأقل - سوى شهوة جسدية تنقضى بالحصول على هدفها (وقد علمنا فرويد أن الحب - فى كثير من الأحيان - ليس إلا رغبة جنسية مؤجلة قامت فى وجه إشباعها بالطريق المباشر عوائق اجتماعية أو دينية أو غير ذلك) . والفتاة التى تقول إنها واثقة من حب فتاها لها لاتدرى - أو لعلها تدرى ، ولكنها لاتريد أن تصدق - أنه لو تعرضت له أى فتاة غيرها بغمزة عين أو هزة خصر أو أرجحة ردف أو ابتسامة إغراء ، وأبدت له ترحيبا ، لجرى وراءها فاغر الفاه ، سائل اللعاب ، كأنه كلب بافلوف فى تجارب الفعل الشرطى المنعكس ! وكم من زوجة تقول فى رسالتها عن سنوات زواجها الأولى قبل أن تزوغ عين الزوج إلى امرأة أخرى أصبى وأحلى :" ورُزقنا بطفلتين جميلتين". إنما الجمال فى عين الناظر كما يقول المثل الانجليزى ، أو فلنقل إن القرد فى عين أمه غزال. وهاتان الطفلتان الجميلتان اللتان تتغزل بهما الأم قد لاتكونان ، على الأرجح ، سوى كتلتين لزجتين من اللحم والعظام ، تبكيان وتتبرزان وتبولان ، تتجشآن وتفسوان وتعرقان ، سيئتى التربية ، مظلمتى العقل ، كأمهما وأبيهما!

كم أود أن يظهر بين دارسى أقسام علم النفس وعلم الاجتماع فى جامعاتنا - وهى كثيرة ، بل لعلها أكثر مما ينبغى - دارس يقدم دراسة نفسية وسوسيولوجية عميقة لهذه الظاهرة : ظاهرة الكتابة إلى محررى أبواب القلوب المعذبة أو الوحيدة كما يسميها الغربيون . أو ربما كان الأفضل أن تقوم بالدراسة امرأة ، فالنساء فى هذه الأمور - بحكم ماجُبلن عليه من حب استطلاع غرزى واهتمام جاد بمسائل الحب والكراهية والغيرة - أفطن من الرجل وأقدر على فهم هذه الأمور ، وأيما امرأة فى هذه الأمور - كما كتب العقاد يوما - ترى لامن مسيرة القطا وإنما من مسيرة الأبد . أو ربما كان الأفضل - فى مرحلة لاحقة - أن يتولى هذه الظاهرة بالبحث والتحليل فريق عمل - يضم رجالا ونساء على السواء - لكى يغطى عينة ممثلة بما فيه الكفاية ، وتجئ نتائجه أقرب إلى الدقة . فنحن اليوم فى عصر العمل الجماعى . ولم تعد الحياة تجود بالمفكر العبقرى الواحد - مثل فرويد أو يونج أو إدلر - إلا على سبيل الاستثناء النادر.

على دارس هذه الظاهرة أن يعكف على مجلدات الجرائد والمجلات ، عبر

السنين ، ويدرس رسائل قرائها وردود محرريها : د. مصطفى محمود قديما (صاحب كتاب" ٤٥ مشكلة حب" وقد أصبح فى الطبعة التالية: ٥٥ مشكلة ! كلما زاد العدد زاد الحبور كما يقول المثل الانجليزى)، عبد الوهاب مطاوع (وهو أفضل الجميع بلا جدال وذلك لما تتسم به ردوده من تعقل ونضج وحكمة) ، ضياء الدين بيبرس (بابا ضياء من فضلك!) ، صوفى عبد الله ، أمينة السعيد (وهى سيدة أعترف بنفورى من كتاباتها ، كما كنت أنفر من كتابات تلك النسوانية المدعية درية شفيق ، سكينة فؤاد ، سناء البيسى ، عليه الصالحى ، أمال عبد الوهاب ، وكذلك نجمات الفن اللواتى يستضيفهن الباب أحيانا للرد على مشاكل القراء : سهير البابلى مثلا . كذلك ينبغى أن تشمل هذه الدراسة المسحية نفس الباب فى جرائد الوطن العربى ومجلاته : مريم شقير أبو جودة فى مجلة " الشبكة " ، مثلا ، وتلك السيدة الوقور ذات الشعر الأبيض - التى لاأذكر الآن اسمها - فى مجلة" هو وهى" . فمن الشائق أن نرى هل تشترك كل أجزاء الوطن العربى فى نفس المشكلات ، أم إن هناك اختلافات بين أقطار المشرق والمغرب مثلا . يخيل إلىّ - وماأقوله هنا ليس ثمرة استقراء علمى وإنما ثمرة قراءة لهذه الأبواب عبر أكثر من أربعين عاما - أنه ليست هناك فروق أساسية بين مشكلات الفتاة الجزائرية ، مثلا ، ومشكلات الفتاة السورية. هناك اختلافات لاحصر لها فى الدرجة - بطبيعة الحال - ولكن وحدة الدين والخلفية والثقافة تؤدى إلى تقارب شديد فى هذه الأمور.

كذلك من المهم أن تشمل هذه الدراسة مقارنة بين باب القلوب المعذبة عندنا وأمثاله فى صحف الغرب ومجلاته : هنا تبدو الفروق واضحة ، نتيجة لاختلاف القيم والعادات والتقاليد والأعراف. فنحن فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية بازاء مجتمع الإباحة الذى لاينكر على أفراده ، رجالا ونساء وجنسيين مثليين ، إشباع غرائزهم مادامت لاتصطدم بالقانون أو براحة الآخرين . ومن الشائع أن ترى فى باب الإعلانات - لا فى المجلات الجنسية العارية فحسب وإنما فى المجلات الأدبية الوقور أيضا - بابا يطلب فيه المعلن - وقد يكون امرأة (أين ماحدثونا به قديما عن خلائق التصون والاحتجاز المركبة فى طبيعة الأنثى ، ربة الصون والعفاف ، وبيضة الخدر التى لايرام خباؤها؟) - أن يلتقى بشخص من الجنس الآخر - أو من نفس الجنس! - لفترة محدودة يتشاركان فيها الاهتمامات والمتع . وليس من النادر أن تحدد المرأة - صاحبة الإعلان - مطالبها على وجه الدقة: فتشترط أن يكون طول الرجل كذا قدما وكذا بوصة ، ولون عينيه ، وطراز شخصيته ، والمقاطعة التى يعيش فيها (تحسبا لسهولة الانتقال) ، والبرج الذى ينتمى إليه ، وأن يكون مغرما - مثلها - بالمسرح أو الموسيقى أو الرقص أو ممارسة الحب!

كتب يحيى حقى - وهو من أعظم نقادنا الاجتماعيين فى نثره القصصى وغير القصصى على السواء - مقالة فى مجلة " المجلة "(أكتوبر ١٩٥٧) عنوانها " باب أسئلة القراء " يقول فيها:" سبحان مغير الأحوال . انظر كيف كان باب أسئلة القراء" فيما مضى وانظر اليوم حالة بعد أن شاعت نظرية فرويد والتحليل النفسى . هذا باب ثابت فى كل مجلة أو صحيفة ، لأنه رخيص ويملأ الفراغ ويتساوى فيه الصحفى القديم والناشئ . لم نعد نقرأ أسماء صريحة بل رموزا وحروفا .. من أخ يفسق بزوج أخيه ، وامرأة تخون زوجها بلا سبب وتسأل المشورة - إلى غير ذلك من الفضائح والمخازى تنشر على الناس ، وقل لى بربك : لفائدة من؟"

مضى أكثر من اثنين وأربعين عاما على كتابة يحيى حقى هذا السطور (وأنا أختلف معه فى دعوته الضمنية إلى حجب هذه الرسائل عن النشر) . وخلال هذه السنوات ازدادت الأمور سوءا ، وتردت الأخلاق الاجتماعية والفردية على السواء (سئل لويس عوض ذات مرة: ماذا تتمنى للمستقبل؟ فأجاب : أن تتحسن أخلاق المصريين) ، وشهد الوطن محنا سياسية وأزمات اقتصادية كان لها أثرها البالغ فى أخلاق الناس ، ورأينا من الجرائم والانحرافات أشكالا وألوانا . لقد دخلنا عصر الزوج الذى يسافر إلى الأقطار العربية طلبا لمزيد من الرزق فتنحدر امرأته إلى اتخاذ عشيق يؤنس وحدتها ويدفئ لياليها ، وابنته إلى الضياع ، وابنه إلى تعاطى الخمور والمخدرات والسرقة والسهر فى الملاهى الليلية . إنه عصر تقطيع أوصال الزوج فى أكياس البلاستيك ، والزواج بأخرى عن فراغة عين وطمع بعد أن جرى المال فى الجيوب ، والتنكر للأبوين العجوزين ومحاولة طردهما من الشقة ، إرضاء للعروس الشابة ، ماأظلم الإنسان وماأكفره! لكن لاجدوى من ذرف العبرات ومصمصة الشفاه والحسرة على ماآلت إليه الحال دون أن ندرس هذه الأمور دراسة علمية دقيقة ، على نحو مافعل الغرب بكل جوانب حياته منذ أواخر القرن التاسع عشر . إننا فى حاجة إلى ألفرد كينزى مصرى يصدر تقريرا عن السلوك الجنسى للذكر المصرى ، وآخر عن السلوك الجنسى للأنثى المصرية ، مع الاستفادة من كتابات حقى ومحفوظ والبدوى وإحسان والخراط والغيطانى وصنع الله ابراهيم وسلوى بكر وغيرهم.

المسلم القبطى

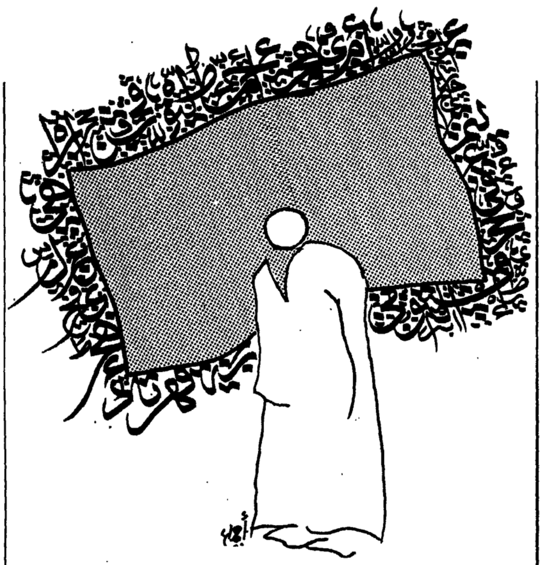
خالد سليمان

هل نهدم قصر عابدين ؟ ونلغى قلادة النيل؟ ونحرق المركز الإسلامى فى لندن ؟ زلفى لأمراء التطرف والارهاب !

قفزت هذه التساؤلات إلى ذهنى وأنا جالس مع صديقى الفنان التشكيلى " ألفى فؤاد وهبه " ذلك القبطى المسيحى الذى ينتمى إلى أسرة مسيحية متدينة تعد مضربا للمثل فى السماحة .، أبوه الفنان الكبير " فؤاد وهبه" الذى تخصص فى الزخارف الإسلامية ... صاحب لوحة الفتح الشهيرة (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فى قصر عابدين ، وهو أيضا مصمم أرفع وسام مصرى " قلادة النيل" ، ولم يجد المهندس المصرى المسلم " رمزى عمر" من هو أفضل منه ليستأمنه على زخارف المركز الإسلامى " ريجنس بارك " فى لندن .. الذى أصبح فيما بعد قلعة حصينة لأمراء الإرهاب من جميع أنحاء العالم .. ترى هل يحرق هؤلاء المركز الاسلامى ليتخلصوا من زخارف وآيات صممها بأمانة فنان مسيحى يدعى" فؤاد وهبه " ليهدموا المعبد على رؤوسهم ويخربوا بيوتهم بأيديهم ، وهو نموذج مصغّر لمحاولاتهم الدنيئة لهدم الوطن.

لكن المأزق الحقيقى بالنسبة لى كان فيما أشعر به من حرج .. أمام صديقى الفنان" ألفى " نجل الفنان " فؤاد وهبه" الذى كان سمحا حتى فى إدانته لأحداث " الكشح" فلم يوجه الاتهام إلى طائفة بعينها .. لكنه أدان الجهل والتقاعس والفقر .. بنفس القوة التى أدان بها قلة فى المهجر تحاول استعداء " العناية الأمريكية" على الوطن .

كان الرجل كبيرا حتى فى حزنه على الوطن قبل أبناء دينه ، كانت فى حلقى غصة وفى نفسى ماهو أكبر من الحرج ، ضاعت بهجة أكل " قلقاس " " الغطاس " معاً مثلما ضاعت بهجة الأعياد من قبل .. فهل نفيق قبل ضياع الوطن ؟



أريد الاعتذار بشدة لأسرة الفنان " فؤاد وهبه " ، وصديقى الكبير الأب " هدرا الشايب " رئيس دير الشايب الذى يرسل لى " كعك العيد" من الدير كل عام ، وجارى الأستاذ " لمعى الوزان" وعائلته ، ومئات الأصدقاء فى جمعية الشبان المسيحية التى أشرف بعضويتها .. وأخيرا كل أقباط مصر المسيحيين باسم كل الأقباط المسلمين ..

ولصديقى الأستاذ " ألفى" أقول إن مابيننا أكبر من أية مؤامرة ، وتذكر أننا عند وفاة زوجتك العزيزة "مارى" صلينا معاً فى العزاء، وأقسم أننى لم أجد غضاضة فى أن أردد معك الصلاة الربانية " أبانا الذى فى السماء فليتقدس اسمك وليأت ملكوتك ".. لأن أباك لم يجد غضاضة فى أن يملأ المساجد بآيات القرآن ونحن نتعلم السماحة من أمثاله فى كل الأديان ، لذلك أعاهدك أن " نحب أعداءنا ونبارك لاعنينا " لعلهم يتحضرون ، فان لم يحدث فسندافع معا عن الوطن ضد الأعداء فى الداخل والخارج بدواً وخواجات.

رسالة شخصية

محمود الأزهرى

أستاذتى الكريمة الأديبة الناقدة فريدة النقاش
سلام من الله ورحمة وبركات لكم
تحية محبة وتقدير لكم وبعد

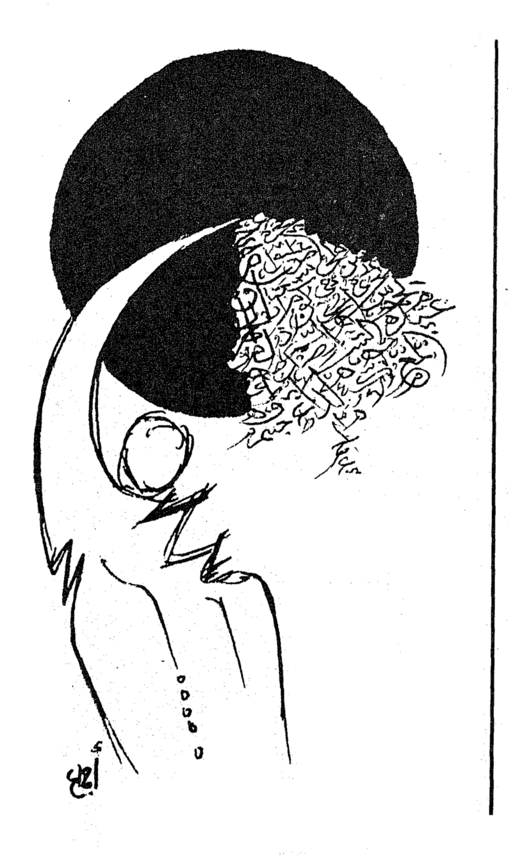
فانى أرجو الله أن تكونى بخير وكل إخوتنا الأساتذة فى أدب ونقد والأهالى وسلام ومحبة إلى الشاعر الكبير والأخ الأكبر حلمى سالم . وسلام ومحبة إلى ابن قنا مصطفى عبادة..

البقاء لله .. أردت أن أكتب لكم هذا السطر منذ أكثر من شهر ولكنى لم أستطع حيث بوغت بموت مجدى حسنين ومن قبله مجدى الجابرى - أيضا - وبين مشاعر الحزن واليأس والإحباط كنت ميتا ففجأة كل الجرائد تتحدث عن القاص مجدى حسنين فى الصفحات الأولى والأخيرة ومابين ذلك . وفجأة يتضح أن الكل أصدقاؤه .. وأن الكل أحبوه .. وأنه كان موهوبا .. مظلوما .. مخلصا .. إذن فلماذا تركتموه حتى يلقى ماكتب الله علينا.

طبعاً أنا أحمل - ومازلت - مواقف كان يمكن أن أسجلها دالة على وفائه .. وصدقه .. وإنسانيته .. ولكنى فى حقيقة الأمر كرهت نفسى فهل أنا أريد أن أكتب مجدى .. أم أريد أن أشارك فى الهوجة حتى يظهر اسمى بين الأسماء!! إن حرماننا من النشر وبعدنا عن مواقعه يولد فينا رغبة قوية فى رؤية أسمائنا مطبوعة فكيف نراها - كذلك - فى فقد أصدقائنا / ذواتنا .

وأيضا - فانى أرى أن سيل الكتابة عن كل عزيز نفقده ظاهرة دالة على خلل فى الواقع الثقافى ذلك لأنه يعكس أن العزيز لم يأخذ حقه حياً .. وأننا جميعا شاركنا فى ظلمه .. فحين ينتقل من عالمنا .. ونضمن أنه لن يشاركنا طعامنا ولن يسحب سلطاتنا أو جزءاً منها .. تستيقظ ضمائرنا لنرد له الحق .. وهو استيقاظ كاذب .. ومحاولة لنفى الإحساس بالذنب فاشلة.

أذكر أن الذين فصلونى من نادى الأدب حين أصبت بالتهاب رئوى جاءوا لزيارتى فى المستشفى فأحببتهم .. وحين خرجت ورأونى سائرا على قدمىّ فى الشارع أزاحوا وجوههم عنى .. فمقتهم .. لعنهم الله لعنا كبيرا .. يريدوننى



ميتا ..!! وأيضا .. فأنا ساخط عليكم فى بعض تعابيركم عن الموت حين تلعنونه وتسبونه .. ما الموت ..؟ حتى نسبه ونلعنه .. ماذا صنع لنا أهو زرع الأحقاد والضغائن .. أهو أمرنا ألا نعطى كل ذى حق حقه بعيداً عن الواسطة والمحسوبية والرشاوى المقنعة؟

أستاذتى فريدة :

نحن نحبكم ونقرأكم جيدا .. وليس معنى أننا لانرسل لكم باستمرار أننا لانقرأ؟ أقول هذا بمناسبة مقدمتك لعدد يناير واشتياقك لسماع آرائنا - نحن القراء - فأقول لك : إن مجلة« أدب ونقد » لها مكانة مرموقة فى الحركة الثقافية المصرية - والعربية أيضا - هذه المكانة فيما أرى زادت واتسعت زيادة واتساعاً كبيراً فى الفترة الأخيرة بسبب فشل بعض المجلات الثقافية الرسمية - ولاداعى لذكر أسماء - فى التواصل مع جمهور المثقفين .. وإحساسنا بغطرستها وتعاليها الكاذب ، وعدم صدقها فيما تعده من أطروحات ومحاور .. وأن الأمر لايعدو أن يكون مغازلة للآخر - عربيا أو غربيا - لاصطياد دعوة من هنا وترجمة من هناك .

ولأمر آخر .. يرتبط بالمادة فيعتبر الثمن الرمزى للمجلة معقولاً جداً بالنسبة لأثمان - هل هذه المفردة مناسبة - المجلة الأخرى الملونة.

ولاأخفى عليك أننى أريد أن تفشل مفاوضاتك مع الإدارة لتغيير ورق المجلة ذلك أن التغيير لن يكون مجانا .. ونحن لايهمنا نوع الورق .. بقدر مايهمنا صدق المكتوب فيه .. وإخلاصه للأرض .. ولأهل الأرض المصرية والعربية طبعا .. من أرق الأبواب وأظرفها جر شكل " يحمل جرأة .. ومغايرة فى اللغة .. وتجديداً ومحاولة للخروج من الركود .. لكن لماذا لانكتب معبرين عن إعجابنا .. هل يصح أن أكتب معبرا عن إعجابى بكتابة ماجد يوسف الذى يتوسط لى عندكم لنشر قصيدة . أم أكتب مادحا حلمى سالم مدير التحرير أم مصطفى عبادة بلدياتى الذى كاد" يبكينى" حقيقة فى من كراسة إلى كلوت بك..

إذن لماذا لانكتب نحن فى الباب؟ لأسباب منها أننا لانعرف هل هذا مسموح لنا أم لا .. وإذا كتبنا وأرسلنا المكتوب فلانعرف سينشر أم لا؟ ووعينا المسبق قبل الكتابة بما يحدث بعدها يمنع كتابات كثيرة .. كما قلت أنا مثلا أحبكم ولكن إذا أرسلت مادة ولم تنشر فان هذا سيولد ولو بشكل غير مباشر فى النفس أشياء .. ولانملك أن نسألكم هل ستنشرون أم لا؟ والحالة أن المكتوب " موضب" على مساحة المجلة.. وبالتالى فلن ينشر فى مكان آخر .. وحتى إذا كان يمكن نشره .. فأمام عدم معرفتنا بنشره لديكم لانستطيع إرساله لجهة أخرى - ربما يحدث مالاتحمد عقباه فينشر الشئ الواحد فى مكانين .. وعدم الكتابة أفضل من أن تحزنوا منا .

اعطونا أملاً أننا لسنا قراء عاديين .. سنهز ذواتنا المحطمة ونكتب .. انشروا لنا سنكتب أكثر وأكثر حتى نموت راضين عن أنفسنا والله .

زكريا .. كرومر !!

فريد أبو سعدة

يبدو ، والله أعلم ، أننى أصبحت فى سن الحكمة !

فقد وجدت نفسى مهتماً بالخناقة بين محمود أمين العالم ود. فؤاد زكريا على رئاسة لجنة الحكمة !

كنت أعتقد أن لجان المجلس الأعلى للثقافة تتشكل من مثقفين ومبدعين استناداً إلى قدرتهم على قيادة العمل العام واستناداً إلى تاريخ طويل من العمل الثقافى الجاد . أى أن العمل بهذه اللجان تكليف لاتشريف و« رسالة » تطوعية لاتخضع لمرارات الرسوب الوظيفى . كنت أعتقد ذلك حتى فوجئت بأن إعفاء أحد وتنصيب آخر ، ولو بسبب المرض ، يمكن أن تفصل فيه المحاكم !!

وهكذا أصبح من الممكن أن ترفع قضية على الجميلة التى لاتحبك فتقع فى غرامك بالقوة الجبرية وتأتيك طائعة على يد محضر!

فعل هذا ، أو قريباً منه ، بعض الكتاب الذين أخطأتهم منحة التفرغ ، وكان الأمر ، رغم وجهه الكوميدى ، يحتمل بعض العذر ، فهم أولاً لم يدخلوا سن الحكمة ، وهم ثانياً مبدعون يعملون فى ظروف صعبة ويحتاجون إلى مايهيئ لهم الوقت والاستقرار للإبداع. أما الكبار ، الذين أوغلوا فى الحكمة ، فيبدون بالغى الوقار فى كوميديا سوداء، فالغضب قد جعل د. فؤاد زكريا يتخبط كطائر يحاول الخروج من نفق مظلم .

سأقتبس من كلامه فى« تعقيب على التعقيب» المنشور فى أخبار الأدب ، وأرجو أن تتأمل معى مايقول أستاذ الفلسفة:

(لست من أنصار تحويل الثقافة إلى مهرجانات متواصلة لايكاد الواحد منها ينفض حتى تتلوه ندوة أو مؤتمر أو حلقة مناقشة) كلام جميل كما ترى ، ويشى بأنه يتفق مع القائلين بأن وزارة الثقافة ليست إلا (جعجعة ولاطحين) ، فاذا عنّ لك أن تسأل لماذا يا أستاذ الفلسفة، آملاً أن يضفى على قناعاتك تماسك

المفكرين الكبار ، فاجأك بقوله:

(لأننى أنتمى إلى جيل كان يستمع فى حداثته إلى حكمه تتردد على الألسن فى المدرسة وفى البيت ، تلك الحكمة هى " الشئ إذا زاد عن حدّه انقلب الى ضده » وهى حكمة عميقة تتضمن فى ثناياها بعضاً مما يسمّى بقوانين الديالكتيك « الحركة الجدلية » عند هيجل وماركس (شوف ياأخى!!)، فالثقافة إذا أعطيت للناس بجرعات زائدة متواصلة تنقلب إلى" سخافة")

انتهى كلام الطاعن فى الحكمة ، لتبدأ علامات الاستفهام والتعجب فمن الذى قال إن مزيداً من الثقافة يؤدى إلى السخافة يادكتور وماذا عن الإبداع والديمقراطية ، هل المزيد منها يؤدى إلى نفس النتيجة؟! وهل كنت تدير لجنة الفلسفة بهذه الحكمة يادكتور ؟! دعنا نقبس المزيد من الحكمة إذن!!

(هذا السيل العارم يفوق طاقة الإنسان المهتم بالثقافة على الاستمرار فى المتابعة ومواصلة الاهتمام بما يقدم إليه من مادة ثقافية مما يرغمه على أن يلهث وراءها حتى يستطيع تتبعها وملاحقتها) لاحظ أن هذا شأن " المهتم" ولاشك أن الدكتور على قائمة المهتمين لكنه للأسف لم يعد قادراً على الملاحقة والمتابعة ، إذ يرغمه ذلك على بذل مجهود أكبر فيلهث وهو من هو سنّاً ومكانة لذا يستمر لافضّ فوه

(وعلى العكس من ذلك فاننى من أنصار تقديم الثقافة إلى الناس بجرعات متباعدة قابلة للهضم والاستيعاب)

طبعاً!! سقف العالم هو البيت والسماء ليست سوى مانراه من البئر دعونا نسأل رئيس الحكماء السابق أهذا هو السبب فى غياب لجنة الفلسفة عن الحضور فى حياتنا ؟!

ثم من الذى أدخل فى روعك ياسيدى أن تكون أجزجى الثقافة والقيم على الجرعات ، لماذا أنت ، دون الجميع ، من يدرك المناسب وغير المناسب.

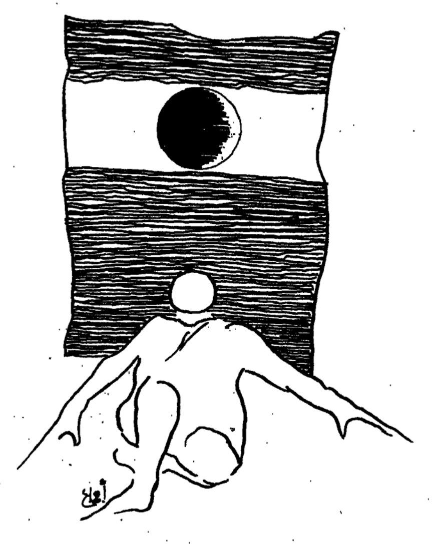
ألا يبدو غريبا ياعزيزى القارئ أن يطل علينا حكماء من هذا النوع فى عصر انفجار المعلومات ، أليس غريباً هذا الحس البطريركى (الأبوى) الذى يعرف مصلحتنا أكثر منا ، لا لشئ إلا لأنه (كبر) ولايستطيع أن يتابع السيل العارم!

كنت أظن أن كرومر قد باد حتى فاجأنى بأنه تحول إلى فينيق.

قلت لك ياعزيزى إن الغضب قد جعل الدكتور يتخبط ، لكن تخبطاً كهذا، فى مناظرة فكرية استمرت شهراً ، لابد أن وراءه أكثر من الغضب.

يقول الدكتور فى مقاله الأول « لهذه الأسباب.. استقلت من المجلس الأعلى للثقافة »

قد يعتقد من ينظر إلى الأمور نظرة سطحية أننى أكتب هذا البيان لكى



أعبر عن حسرتى على الموقع القيادى الذى سلب منى فى لجنة الفلسفة ، أو عدم وفاء الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بالوعد الذى التزم به أمام الأستاذ محمود العالم بتعيينى عضواً فى المجلس الأعلى للثقافة.)

أنا شخصياً سأنظر إلى الأمور بهذه النظرة !! فبدونها لن أفهم سكوت الدكتور لعامين كاملين قبل أن ينفجر ، وبدونها لن أفهم لماذا انفجر الآن بعد أن أعلن التشكيل ولم يكن واحداً منه!!

إنها الآلية الغريبة التى تحكم العلاقة بين المثقف والسلطة ، هذه المراوحة المعذّبة للمثقف بين التعرّض والتعريض ، والمراوحة العذبة للسلطة فى الهجر والوصل.

هذا ولله الأمر من قبل ومن بعد !.

فقه النفاق .. بين الضب والجربوع !

ماجد يوسف

عشت حياتى كلها أكره النفاق والمنافقين كراهية غريزية ، ربما لأنى ربيت على الاعتزاز الشديد بالنفس ، وصونها عن كل مايحط من شأنها ، أو ينال من شرفها .

وكنت أرى الشخص ، فأحترمه لأول وهلة ، لما بدا من طاقة مشعة ولافتة فى حضوره الإنسانى ، أو لمخايل ثقافة واسعة لمعت فى حديثه مثلا .. إلى أن يطرأ على الموقف مايدفعه فجأة - هذا الشخص المحترم - إلى النفاق .. فيسقط بسرعة البرق - بنفاقه - من الحالق الذى رفعته إليه بمواهبه البادية ، بل وينقلب فى مخيلتى المعترضة المتعضة فورا ، من هيئته الآدمية ، إلى هيئة حيوانية دنيا ، لاتخرج عن *الضب* أو *اليربوع* ! .. ولاأراه بعدها ، فى أى مكان ومهما مرت السنوات إلا تمثلت فى خيالى على التو هيئة الضب أو صورة لليربوع . ومهما قال بعد ذلك من كلام مهم ، أو أفصح عن ثقافة عالية ، أو فكر معتبر ،، لايفلح - فى أحسن الأحوال - إلا فى أن يرسم ابتسامة داخلية خفية فى أعماقى ناتجة عن المفارقة التى أدركها وحدى - طبعا - وأراها بمفردى .. للضب المثقف أو اليربوع المفكر!

ذلك لأن (النفاق) منقصة رهيبة ، ينال من الروح المفطور على البراءة والنقاء والعفوية والوضوح والصراحة للشخصية الإنسانية ، فيفقدها الكثير من كبريائها وكرامتها واعتزازها ؛ أى يفقدها الكثير من خصائصها الجوهرية كأصل شريف.

فالنفاق ، تسليم أولى من المنافق - أمام نفسه حتى - بأنه أدنى درجة ، وأقل مرتبة من هذا الذى ينافقه ، وفى هذا مافيه من اتضاع النفس ، وانحطاط القيمة .ولو كان ذلك يتم بشكل تلقائى وطبيعى من المنافق للمنافق (بكسر الفاء فى الأولى وفتحها فى الثانية) لقناعته الداخلية بذلك مثلا ، لهان الأمر ، وان دل فى نفس الوقت على قهر متأصل ومركب ، وذل تاريخى متجذر فى نفس صاحبه ،جعلا - القهر والذل - من النفاق طبيعة ثانية له ! ..

أما إذا كان المنافق يمارسه شكليا وظاهريا فقط ، ويبطن غير ذلك من كره لمن ينافق وازدراء له ، فهنا المصيبة أعظم ، والطامة أفدح ، لأننا فى هذه الحالة إزاء (وعى مستبطن) من المنافق بحقارة هذا السلوك ، وإصرار مبيت أيضا على إتيانه واللج فيه برغم هذا الوعى ! .. وهى حالة (نفاقية) مستعصية وغالبة ، تعاقرها وتعاشرها قطاعات لابأس بها من الناس ، خصوصا " الموظفين فى الأرض".

وقد اجتهد المفكرون ، وعلماء النفس ، ودارسو الشخصية المصرية ، وعلماء الاجتماع ، والمؤرخون ، فى تحليل وتفسير الأسباب لهذا المرض الاجتماعى الوبيل.

ويكاد الإجماع (التبريرى) ينعقد على طول تعرض الشعب المصرى لعهود وقرون وحقب من الاستعمار ، من أول الهكسوس وحتى الانجليز، مرورا بالفرس واليونان والرومان والعرب والمماليك والفرنسيس والأتراك .. إلخ ، وأن هذا التاريخ الطويل للقهر رسب فى وجدان الناس العميق هذه المثلبة الخلقية البشعة – مع غيرها من المثالب الأخرى طبعا – لمواجهة تجبر السلطان بالمداراة ، وعسف السلطة بالمراءاة ، ومداورة القوة بالحيلة ، ومجابهة العتو بالخنوع!

وانتهت عهود الاستعمار الطويل – أو كما قيل – وبقيت (التقنيات) والأساليب ، والخبرات اللعينة المترسبة فى الأعماق – من نفاق وغيره – يمارسها بعضنا على بعضنا الآخر!

بل لقد بلورت هذه الخصائص النفاقية العتيدة نفسها فى عدد لابأس به من الأمثال الشعبية المعترف بها اجتماعيا وسلوكيا ، والسارية المفعول بقوة حتى هذه اللحظة ، وهى – للغرابة – نموذج معتمد ودال – لدى قطاع عريض من البشر – وهنا المفارقة التراجيكوميدية – على العقل والرزانة والحنكة والحكمة ! وليس على العكس .. من مثل :

– (ان كان لك عند الكلب حاجة قول له: ياسيدى)
– (اللى يتجوز أمى أقول له ياعمى)
– (عشان مانعلا لازم نطاطى)

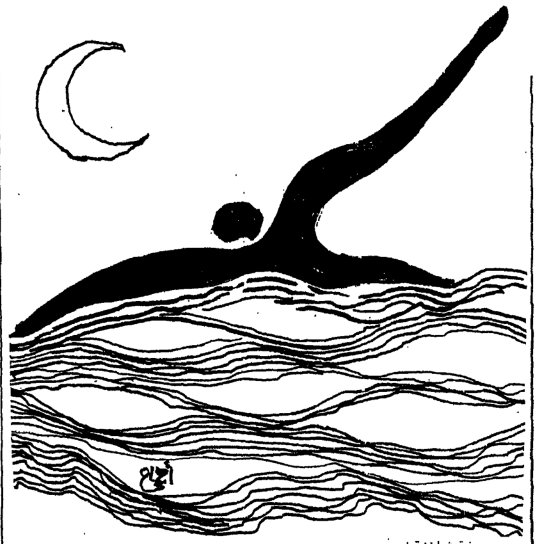
إلى آخر ذلك ، وهو كثير ، وهذه أمثلة مباشرة أتت – هكذا – عفو الخاطر ، وهى مع عشرات الأمثلة من أشباهها ونظائرها فى تراثنا الشعبى تشكل مايمكن أن نسميه (فقه النفاق) فى كتاب الوجدان العام.

وللنفاق مظاهر وأساليب وأشكال متعددة فى حياتنا العامة والخاصة ، ليس هذا مجال تعدادها على أى حال ، ولكن كان – ولايزال – يستفزنى منها بشكل خاص – ربما لملامستى لهذا الجانب عن قرب – النفاق الوظيفى .. الصارخ .. الواضح .. الفادح .. المفقوس جدا .. وبرغم ذلك .. مطلوب جدا ، ومرحب به دائما ، ومرضى عن أصحابه ومحترفيه باستمرار!

وقادنى تأملى الطويل لهذه المسألة - على مدى ثلاثين سنة (وظيفية) - إلى أن الموضوع يخرج عن حدود المظاهر والشكليات (المقدور عليها على كل حال) ويرسب فى الأعماق لطبقات من الدلالة ، ومستويات من المعنى شديدة الخطورة .. فعلاقة الرئيس بالمرؤوس عندنا ، من هذا المنظور ، ليست محض علاقات شغل ، أو تراتبات تدرجية لتنظيم العمل .. وإنما علاقات أفضلية تكاد تكون عنصرية ،علاقات مقامات أرفع وأدنى .. علاقات سادة وعبيد (أو تكاد) .. ومن ثم فهى علاقات مقامات تشارف حدود الطبقية ، فالرئيس - دائما - هو الأرقى اجتماعيا والأفضل طبقيا ، والأذكى ، والأفهم ، والأعرف ، والمصدق على كلامه باستمرار ، والناطق بالحكمة ، والمكشوف عنه الحجاب ، والحكيم ، البصير ، وهكذا .. أما المرؤوس ، فهو الأقل فى كل ذلك - حتما - لمجرد أنه مرؤوس !!

بل إن من آداب النفاق الوظيفى الراسخة ، أنه اذا فتح الله عليك بفكرة صائبة لصالح العمل - وأنت المرؤوس الصغير- فمنتهى المراد من رب العباد أن يتفتق ذهنك (الصغير) عن طريقة لولبية تجعل بها(فكرتك) تبدو وكأنها من بنات أفكار السيد الرئيس التى أوحى بها - من حيث ولم يدر - إلى شخصكم التافه .. الذى لم يكن له من فضل إلا صياغة وبلورة (أحلام سعادته) التى لم يحلمها إطلاقا ، والتى هى أوامر واجبة التنفيذ برغم ذلك ! .. وياسعدك .. ياهناك لو قبل السيد الرئيس هذا التنازل منك ، وهذا الإنمحاء (الوظيفى) الضرورى لشخصك النكرة فى ملكوت شخصية السيد الرئيس الرحبة .. فهذا هو طريقك الملكى للصعود والترقى .. كلما ازددت امحاء وقزمية ودونية ، كلما ازددت صعودا وبسرعة فى سلم الوظيفة الطويل ، بينما يظل زميلك المسكين الشغال الذى يحترم نفسه ، ولاشأن له بمداهنة ولانفاق .. فى مكانه محلك سر .. لايشعر به أحد ، ولاقيمة له فى الحقيقة اللهم إلا الغضب عليه طيلة الوقت! .. لأنه - بمعنى من المعانى - يشكل بصمته ونأيه واحترامه لنفسه .. نوعا من الضمير اليقظ الكاشف والمعرى والفاضح لأصحاب (فقه النفاق) من حوله .. ويكون من أول أهداف زميله المنافق المتسلق إذا وصل لأعلى السلم بسرعة (وهو لابد واصل) اضطهاد هذا الشريف ، ومضايقته بكل وسيلة ممكنة ، وبحجج مضبوطة جدا (وظيفيا ولوائحيا وبيروقراطيا) حتى لو كان فى حاله .. ومسالما .. ولاشأن له بغيره ، لأنه بهذه الصفة المحايدة حتى لو صامتة (وفى حالها) يعرى - كما قلنا - أصحاب الفقه المنافق ! وإذا انتقلنا من فقه النفاق إلى فقه اللغة .. جاز لنا أن نتساءل عن كنه العلاقة بين(النفاق) باعتباره (إماتة) للقلب .. للجوهر الإنسانى الشريف ، وبين(النفوق) بمعنى الموت(للبهائم خصوصا) .. بل للبهائم فقط .. فيقال نفق الفرس والدابة والحمار .. ونافق الشخص!

وهل ثمة علاقة بين(النفاق) و(النفق) .. باعتبار أن المنافق يدخل طيلة حياته لسرداب طويل مظلم من محو الذات وإهانتها وتدميرها إنسانيا



وبطريقة شائنة !

ثم هل - أخيرا - ثمة علاقة بين (النفقة) و(النافقاء) وهما اسمان مترادفان لجحر الضب واليربوع ، كما تقول معاجم اللغة .. وبين تلك الصورة الساخرة التى ترتسم فى خيالى فورا ، كلما أوقعتنى الظروف فى حضرة منافق محترف يمارس عمله بهمة وكفاءة .. إذ تنمحى رأسه الإنسانية المتكلمة الناطقة (النافقة) المنافقة ، ليحل مكانها رأس ضب وهيئة يربوع ! .. ولايعرف ساعتها أحد سواى ، لماذا ترتسم على شفتى فى هذه اللحظة بالذات ابتسامة مشفقة وهازئة ، قد تتحول رغما عنى فى كثير من الأحيان - إذا كانت جرعة النفاق زائدة عن الحد - إلى قهقهة مجلجلة عالية تثير الاستغراب والدهشة من الموجودين والمحيطين بى .. بينما يتحول المنافق العتيد عن خط نفاقه الرئيسى للحظات ، ملتفتا إلى فى نفاق فرعى خاص بى (على الماشى كده) قائلا بطريقته اللزجة .. المصنوعة .. المقززة .. الآلية جدا:

- خير سعادتك.. الضحك خير .. حضرتك.

اللهم اجعله خير جنابك!!

الإرهاب والكباب

حلمى سالم

أمتنا العربية أمة مميزة بين الأمم كافة ، ولذا فإن سلوكاتها -في الفكر والسياسة والحياة- سلوكات فريدة متفردة ،ليس لها شبيه في الدول جمعاء، ولا تمشى على مثال سابق أو لاحق.

فالمعتاد ،فى أوروبا والدول المتقدمة -مع الاعتذار لفيلم عادل إمام : الإرهاب والكباب- أن تنشأ الأحزاب السياسية تعبيراً عن إرادة الشعب، أو قطاع من الشعب ، ولكن فى بلادنا العربية تنشأ الأحزاب بقرار سلطوى علوى ،كما حدث فى الاتحاد الاشتراكى العربى مع عبد الناصر، وفى «المنابر الثلاثة» مع السادات.

وفى أوروبا والدول المتقدمة -مع الاعتذار للإرهاب والكباب- تكون الأحزاب معلنة أمام الجماهير وسرية أمام وزارة الداخلية، ولكن الأحزاب عند أمتنا العربية -المميزة المتميزة الممتازة- هى أحزاب «سرية» على الجماهير ، مفتوحة على وزارة الداخلية ،كما حدث فى«التنظيم الطليعى» أواخر الستينيات فى بمصر، حيث كان رئيسه هو وزير الداخلية شعراوى جمعة.

وفى أوروبا والدول المتقدمة -مع الاعتذار لفيلم: الإرهاب والكباب -فإن البرلمان- وهو بيت الشعب وموئل الحرية- هو الذى يدافع عن حق المواطنين فى حرية الرأى والإبداع والاعتقاد ،فى مواجهة الوزراء والسلطة التنفيذية الذين يكبحون الحرية ويكبّلون الإبداع ، بينما فى دولنا العربية تنقلب الحال إلى العكس : البرلمان هو الذى يدعو إلى تكبيل الحرية، بينما الوزراء والتنفيذيون هم- أحيانا -المدافعون عن حرية الرأى والاعتقاد:

حدث ذلك فى مصر عام ١٩٢٧ حينما طالب سعد زغلول - زعيم ثورة ١٩١٩ ونائب الوفد فى البرلمان- بمصادرة كتاب« فى الشعر الجاهلى» لطه حسين ،

بينما دافع عنه وزراء عديدون على رأسهم عبد الخالق ثروت ، الذى كان طه حسين قد أهدى إليه الطبعة الأصلية الأولى من الكتاب.

وحدث ذلك فى مصر عام ١٩٧٨، حينما طالب بعض أعضاء مجلس الشعب المصرى بحرق نسخ «الفتوحات المكّية» لشيخ المتصوفة الأكبر محيى الدين بن عربى ، لما فيه من تضليل للناشئة وخطر على الدين ولم يدافع عن ابن عربى المسكين الخطر سوى وزير التعليم العالى حينئذ ورئيس هيئة الكتاب المصرية، ناشرة الكتاب المتهم المضلل.

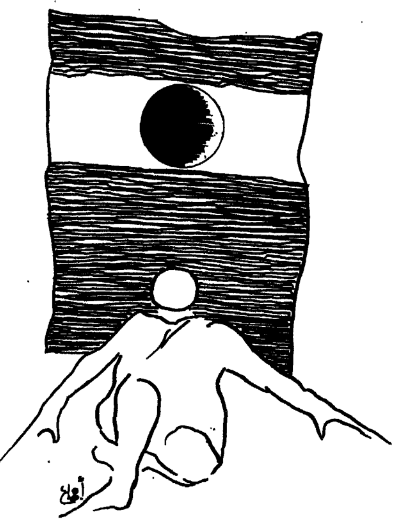
وحدث ذلك فى مصر عام ١٩٩٢ حينما طالب رئيس لجنة الثقافة فى مجلس الشعب! (علامة التعجب من عندى) بمصادرة مجلة «إبداع» ، التى تصدرها هيئة الكتاب الرسمية ،ويرأس تحريرها الشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى، لأنها نشرت قصيدة للشاعر عبد المنعم رمضان رأى رئيس اللجنة -وأيده بعض النواب- أنها خارجة عن الأخلاق الحميدة خادشة للحياء المصرى المصون. ولم يدافع عن حرية القصيدة وحرية المجلة سوى وزير الثقافة المصرى فاروق حسنى.

وحدث ذلك فى الكويت فى العام الماضى (١٩٩٩) حينما أصدر الأمير مرسوماً يبيح للسيدات الكويتيات الترشح فى الانتخابات النيابية البرلمانية ، بينما هبّ لمعارضة المرسوم النواب البرلمانيون المسلمون ،وتكللت هبتهم بسحب المرسوم .وكان ذلك الرفض البرلمانى واقعة غير مسبوقة، جعلت فهمى هويدى ،الإسلامى المعروف، ينتقد موقف إخوانه المسلمين الكويتيين فى مقال شهير بعنوان : كسبت الديمقراطية وخسر الإسلاميون.

وفى أوروبا والدول المتقدمة -مع الاعتذار لفيلم: الإرهاب والكباب- مساحة ملحوظة لحرية الإبداع ،وحينما يحدث أن تضيق بعض دوائرهم بحرية الإبداع ،فإنها تصادر الكتاب ،عبر الحصول على حكم قضائى .أما دولنا العربية- وهى المختلفة ذات الخصوصية المخصوصة-فإنها عندما تضيق بحرية الإبداع لا تصادر «الكتاب »بل تصادر « الكاتب » نفسه:

حدث ذلك فى مصر عام ١٩٩٠، إزاء رواية «مسافة فى عقل رجل»للكاتب علاء حامد ، وبدلاً من مصادرة الرواية -التى اتهمها حراس الفضيلة بجرح الفضيلة - تمت محاكمة الكاتب وحبسه، بضعة أشهر ، باعتباره مجرماً جنائياً.

وحدث ذلك أخيراً فى الكويت ،حينما تمت محاكمة الكاتبتين ليلى العثمان وعالية شعيب ،والقضاء بحبسهما شهرين ،لأن أدبهما «يقترف الممنوع



وبناء شر المحرم» . وقد أثارت هذه الواقعة الغريبة عجب الناقد الأدبى المصرى صلاح فضل ،الذى بيّن تهافت ادعاء المساس بمكارم الأخلاق ،مندهشا من معاملة المبدعين معاملة جنائية شأنهم شأن المجرمين وقطاع الطرق وتجار المخدرات.

أليس من الملّح -الآن- أن يصبح لدينا فرع معرفى جديد اسمه «عجائب العرب السبع» يدرس مثل هذه الغرائب التى تتفوق فى سوداويتها على خيال كافكا وتراجيديات شكسبير وهزليات فلوكس؟.

أما غريبة الغرائب ،فى كل ذلك ،فهى أن يتحدث العرب عن دخولهم القرن الحادى والعشرين ، بينما هم لم يدخلوا بعد القرن الرابع الهجرى ، الذى قال فيه المعرّى «إنما هذه المذاهب أسباب/ لجلب الدنيا إلى الرؤساء »، من غير أن يعلقوا له المشانق.

فى أوروبا والدول المتقدمة ،لا يتحدثون عن دخولهم القرن الحادى والعشرين ، لأنهم أمم غير متميزة ،وغير مميزة ،وغير ممتازة، فضلا عن أنهم ليسوا « خير من ركب المطايا ».

قصة

تـــولـــوز

صموئيل شمعون

(إلى سمير اليوسف)

أنا أحب الله، وأعرف أنه يحبني ولو لا رعاية العلي القدير لربما صرتُ غير ما أنا عليه الآن. ربما موظفا، أو مجرما، أو رياضيا معجبا بجسده بشكل مغفل. ولذلك فإنني دائما أؤكد أن محبتي لله وإيماني به هما اللذان جعلاني رجلا محظوظاً لم يقع أبدا في كمين الحياة الروتينية. فالله هو الذي يقود خطواتي، ودوماً في الاتجاه الصحيح.

ففي الأسبوع الفائت، كنت على موعد عمل في مطعم إيطالي. استيقظت من نومي في كراج محطة «أوسترليتز»، تبادلت التحية مع عمال التنظيف، الذين يعاملونني دوماً بلطف، فهم حين يرونني مستغرقاً في نومي، يمررون مكانسهم برقة بالقرب من رأسي حتى لا يؤججوا الغبار. كم هم رقيقون هؤلاء المغاربة والأفارقة [عندما يريدون ذلك]. استيقظت بنشاط، وأنا أهمس لنفسي «حتى متى تبقى بلا عمل».. وعلى الفور ذهبت إلى حمام المحطة وأخذت دوشاً بعشرين فرنكا وأنا أبتسم للصربية المشرفة علي الحمام، ثم توجهت للقاء صاحبة المطعم التي وافقت، عبر التليفون، أن أحل محل صديق لي ترك العمل عندها.

لم يكن يهمني أن أعمل «غسال صحون»، فمعظم زوجات أصدقائي لطالما اعتبرنني «أفضل غسال صحون في التاريخ». كنت أفكر، وأنا أمشي مزهواً، بالراتب الذي سيدخل جيبي في آخر الشهر، وفي استئجار غرفة صغيرة تنقذني من حياة الشوارع، وإزعاج الاصدقاء في بعض الاحيان. وعلى مبعدة خطوات من المطعم ذي الواجهة الأنيقة والحديثة، توقفت للحظات، ربما لأعدل من

هندامي أو شعري المزيّت والمصفف للوراء علي طريقة مغنّي الأوبرا الايطالية، فجأة، سرى في جسدي شئ مثل البرق جعل قدميّ تبتعدان عن المطعم، وتتجهان صوب منطقة السان جيرمان، لتلقيا بيّ في مقهى «أوشيه دو لا أبيي». هناك ظللت أشرب نبيذي المفضل «غاميه» (في ذلك اليوم، قال لي سائح أميركي بعد أن دفع لي بضعة كؤوس « إن العاطلين عن العمل يعرفون مباهج الحياة وملذاتها، وهم الأقرب إلى رحمة الله وحنانه»).

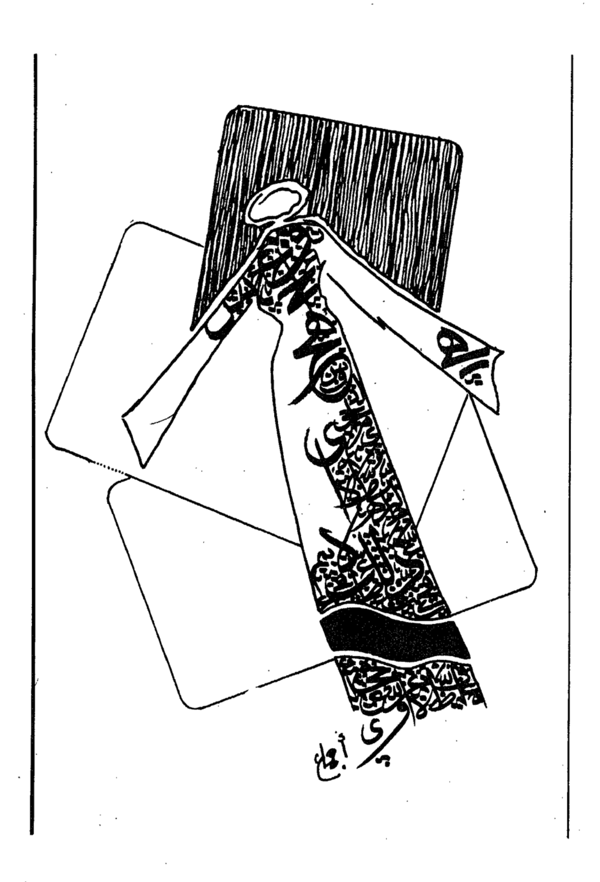
على أنني، اليوم أقسمت «بالله العظيم أن لا اقترب من السان جيرمان وما يحيطها، على الأقل ثلاثة أشهر، حتى أحسن أوضاعي الاقتصادية». وهكذا بعد الدوش، غسلت ثيابي مباشرة، وأعدتها إلى صناديق الايداع الخاصة بالمحطة [دولاب ثيابي و أوراقي لسنوات عديدة]، وبسرعة أخذت الميترو وألقيت بنفسي في ساحة الريبوبليك.

«باريس، ليست السان جيرمان فقط» قلت في نفسي.

دلفت «بولفار ماجنتا» الطويل، ورحت أدور على مكاتب الأشغال المؤقته التي تناسب مؤهلاتي، مثل أعمال البناء والدهان والتنظيفات. كنت استعرض لوائح الأشغال الشاغرة، وأرى نفسي، تارة معلقاً في الهواء وأنا أدهن واجهة بناية مرتفعة ومن هناك أرى الناس كالأقزام. وتارة أرى نفسي أحفر الشوارع، وفي هذه اللحظة يمر من أمامي شبح صديق (دائما ينافسني في البشوارع) يقف للحظات، يشعل سيجارة ثم يخرج من جيبه علبة بيرة، يتأملها ثم اسمعه يقول «آه، حقاً الحياة جميلة»... وتارة أخرى أجد نفسي أنظف بلاط أحد المكاتب وثلاث موظفات فرنسيات يدخنّ السجائر ويتحدثن عن ليلة أمس. وفي غمرة تخيلاتي، لم أكن أعرف أن قدميّ كانتا تنحرفان قليلاً قليلاً وتنزلقان باتجاه «بولفار سيباستيبول» وتعبران «ساحة شاتليه» ثم شارع باليه دو جوستيس» ثم « جسر سان ميشيل»لأجد نفسي في السان جيرمان وتحديداً في مقهى «لو روليه أوديون» واقفاً مع صديقي الجزائري، أحمد.

قبل أن أشرح له مشكلتي، دعاني أحمد الى كأس من البيرة. وقد بدا لي قلقاً. وبعد أن دعاني إلى كأس ثانية قلت له بصوت مكسور «آسف، أحمد، إنني في كل مرة ألتقيك تكون أوضاعي صعبة».

«طز بالفلوس، اشرب اشرب عشرين كأساً» قال بعصبية، وهو يلقي نظرة خاطفة نحو يديّ، ثم مدّ لي سيجارة مارلبورو، ما لبث أن سحبها بسرعة «آسف انت لاتدخن هذا النوع من السجائر». وبعد ان أشعل سيجارته، أضاف بنبرة حارقة «لقد تعبت من زوجتي ومن باريس .. ولم يبق الا الهرب منهما،



من الاثنين معاً. خلاص، يجب أن أهرب .. نعم يجب أن أهرب..»

كنت أجرع بيرتى وأتطلع إلى دخان سيجارته، فأشار أحمد للنادل لكى يأتى بكأسين آخريين.

«أنا أقدرك كثيرا» قال أحمد ثم نظر باتجاه الخارج، وأضاف « لاتوجد فى المقهى نوعية سجائرك .. الفاخرة» ثم ابتسم وهو يمد لى خمسين فرنكا، أخذتها وهرولت خارجا لأشترى علبة «دنهيل» وحين عدت رفض أن يأخذ بقية النقود، أغمض عينه اليسرى وطبطب على فخذه الأيمن، ففهمت انه يقصد أن ثمة نقوداً كثيرة فى جيبه.

« الجزائرى لا يترك صديقه فى أزمة، أبدا » قال أحمد.

« je sais» (١) قلت، وأنا أجرع بيرتى.

«إننا أصدقاء منذ عشر سنوات، كما أننا كجزائريين وعراقيين نعيش أوقاتا صعبة جدا جدا » قال أحمد.

« C'est Vrais» (٢) أجبت.

نظر الى أحمد لبرهة، ثم أضاف منزعجاً.

« ما بك!؟ »

« Rien» (٣).

«يادين الرب، كيفاش Rien ، نهدر معاك بالعربية وتجاوبنى بالفرنساوية»

« آسف جداً، يا أحمد . أنت على حق».

أخرج أحمد سيجارة، ففعلت مثله، ثم جرع ما فى فى كأسه بسرعة. فأنهيت كأسى وقبل ان أتفوه بكلمة [كنت أود الاستئذان]، لكنه قاطعنى بأن طلب مشروباً إضافياً، وراح يدخن بألم ويقول « أنا تعبت من باريس، تعبت من زوجتى، نعم علىّ أن أهرب منهما. لو بقيت هنا يوماً آخر، فاننى حتماً سأموت. لا أستطيع، لا استطيع أن أتحمل هذه المرأة، الشريرة، لقد أقسمت بقبر أبى وحياة ابنتى الجميلة، أننى لن أبقى فى هذه الوضعية المزرية. سأسافر إلى تولوز، نعم أنا لا أحب باريس ولا أحب زوجتى. فى تولوز سأكون أسعد إنسان...» ثم أخرج أحمد تذكرة قطار من جيبه قائلا «هذه هى البطاقة، ذهاب فقط» ثم نظر إلىّ « ألا تريد أن تسألنى لماذا تولوز وليس غيرها؟ »

«لماذا تولوز وليس غيرها؟ »

«لأننى أحب امرأة هناك. نساء تولوز أجمل من نساء باريس . تأكد أن ما أقوله صحيح مئة بالمئة». وبعد أن أنهى كأسه، أخرج ورقة من فئة الخمسمائة فرنك، ودسها فى جيبى « أعرف أنك تحب باسكال» (٤)، ابتسمت وأنا ألتفت إلى

النادل لكى يملأ كأسيا. فقال أحمد « من الأفضل أن تحتفظ بالنقود، عما قريب ستفتقدنى.. ولا اعتقد ان هذا المبلغ سيكفيك حتى الصباح.. ألا تريد أن تسألنى متى سأسافر ؟ »

« متى ستسافر ؟ »

« غدا فجرا .. ذهاب فقط، نعم ذهاب فقط، وفى القطار سأغمض عينيّ حتى يخرج القطار من دائرة باريس ومحيطها. يا إلهى كم سأكون سعيدا فى تولوز. لا يمكنك أن تتصور ذلك، كم سأفرح وأنا أغادر باريس. أنت تعرف أننى لا أحب باريس . يجب أن أهرب بسرعة، يجب أن أنقذ نفسى من جنون مؤكد. ثمة اتفاق بين باريس وزوجتى على تحطيمى».

« أحمد.. »

« نعم »

« حاول أن تعطى زوجتك فرصة أخرى»

« هل جننت ، كنت أعتقد أنك تكره العائلة.. لا تحاول أن تلعب دور الانسان الطيب »

« إننى أقصد يا أحمد،أن تذهب الى البيت .. وأن.. »

« لماذا لا تغير عادتك الرديئة.. » قاطعنى أحمد وهو يهز رأسه بمرارة وألم ، ثم أضاف « ما أن وضعت النقود فى جيبك حتى صرت تريد ان ترسلنى إلى البيت لكى تذهب وتشرب مع أصحابك! »

« أرجوك لا تفهمنى غلط »

« أنا أعرفك جيداً، أنت دائما هكذا. تستغل حبنا وصداقتنا، بمجرد أن نعطيك بعض النقود فإنك تختفى .. حميد علي حق عندما قال {ادفعوا مشروبه واشتروا له ساندويتشة، وإياكم ان تعطوه كاش} ».

طلبت مشروباً إضافياً. فيما ظل أحمد صامتا، وهو يسحب نفسا عميقا من سيجارته وينفث الدخان صوب الأرض ، بقوة، ثم بدأ يهز رأسه وهو يردد « أنا لا أحب باريس، لا أحب باريس ولا زوجتى »، كانت سيجارته فى يده اليمنى، وفى جيب بنطاله وضع اليد الأخرى، وهو فى طريقه الى المراحيض. أخرجت ورقة الخمسمائة ووضعتها علي الطاولة، وعندما مدّ النادل يده ليأخذ النقود، حدقت فى وجهه، فلفتت انتباهى قنينة « الجيمسون » المعلقة وراءه، فطلبت كأساً، ثم أخرى وأخرى...، وبما أن أحمد قد تأخر، فأننى خرجت لأشترى سجائر إضافية. أتذكر إننى دخلت مقهى آخر، ولا أتذكر ما حدث بعد ذلك. فحين فتحت عينييّ بصعوبة شديدة، وجدتنى نائما تحت تمثال دانتون الذى كان يحجب

عنى شمس منتصف النهار. تحسست جيوبى [وهذا أول شئ أفعله حين أنام فى الشارع] فشعرت بالراحة، اذ ما ان تلامس يدى القطع النقدية، حتى يرتسم أمامى حمام اوسترلتيز العمومى والصربية التى تناولنى المنشفة. ومن عادتى أيضاً، حين أنام فى الشوارع، إننى أسير محنىً الرأس، كى لا تلتقى عيناى بعيون المارة، حتى ابتعد عن المنطقة بمقدار كيلو متر مربع واحد. وهكذا خرجت من بولفار السان جيرمان، دخلت شارع دانتون، ساحة السان ميشيل، ثم قطعت شارع هاشية، لأسير فى رصيف مونتبيلو فى طريقى الى اوسترليتز، وهناك رأيت أحمد وزوجته وهما يمسكان بالصغيرة التى كانت تسير بينهما. كنا وجهاً لوجه ولم يكن هناك مهرب من تبادل التحية. ظل أحمد يداعب طفلته، فيما عاتبتنى زوجته لأننى لم أزرهم منذ أشهر عدة، ولم تنس أن تضيف أنها دائما تحتفظ بعلبتين من «الحمص» أو اللبلبى كما تسمونه فى العراق». فقال احمد وهو ينظر الي زوجته « هو هكذا، تصورى اننى لم أره منذ الصيف الماضى». فقلت بصوت مكسور « ماذا أفعل ، إننى أعمل فى مطعم إيطالى، من الصباح إلى منتصف الليل». وعندما تبادلنا كلمات الوداع، اقتربت من الطفلة ومسدّت شعرها، فقالت لى بفرح « بابا دعانى الى المكدونالد..»

لقد شعرت بالفرح وأنا أنظر الى أحمد وعائلته وهم يبتعدون قليلا قليلا. ورغم أننى كنت جائعا بعض الشئ، إلا أننى لم أفكر بالمكدونالد ، ليس لأنى من أنصار « برغر كنغ » وخصوصا «الدوبل ووبر » بل لأننى كنت أود أن أسال أحمد عن مصير تذكرة القطار، فأنا مثله لا أحب باريس وأريد السفر الى تولوز، ذهبا فقط.

دوفيل١٩٩٣

(١) أعرف (٢) هذا صحيح (٣) لا شئ. (٤) قطعة الخمسمائه فرنك تحمل صورة الفيلسوف الفرنسي بليز باسكال. وكنا نتبادل حورات مشابهة ، مثل :« أنا محتاج الى مونتسكيو» فيرد الاخر « أسف أستطيع أن أسلفك دولاكروا». الأول ٢٠٠ فرنك والثانى ١٠٠٠ فرنك.

شعر

الوطـــــن

سعد سرحان

إلى رشيد نيني

الوطن صديق غريب
دائما يصادف عيد ميلاده
يومَ عطلة
لذلك
فهديتنا الوحيدة إليه
هى النشيد نفسه
ملفوفاً فى لحنه القديم

الوطن عويل حجرى
تحت
راية
من حرير الروح.
الوطن هو دعوة الأهل للعشاء
بعد سوء تفاهم مزمن.
الوطن هو سطح بيتنا القديم
لكن ،
كيف سُرقت دجاجاته القليلة.

الوطن هو سعاد قبل احتلالها
أو دليلة بعد تحريرها
تماما

من مسودة الثياب.

الوطن هو سعال أبى
فى الشتاء
وصوت أمى
فى الهاتف.
الوطن وصية مختومة
بوصية تقول:
من يفضها يحرم من نصيبه

الوطن بستانى حاذق
كل صباح يشذب المواطنين
واحداً واحداً
حتى لاتستطيل أحلامهم.

الوطن إسم امرأة
كلما رنَّ
ينتفض هاتف القلب.
الوطن ضربة حظ
لم يجرؤ أحد قط
على الاعتراف:
كم هى مؤلمة:

الوطن وتد
شعاره الحبل.
الوطن وسادة محشوه
بأحلام القتلى
وكوابيس القتلة.

الوطن منزلة بين منزلتين
ثالثا مرفوع
بالضمة الظاهرة فى آخره.

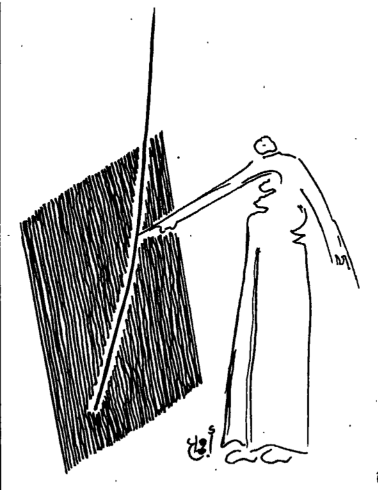
الوطن كلمة ولود
أنجبت قاموساً
من الكلمات الشزراء

الوطن مستقبل يخطو
بأقدام الماضى
والحاضر شاهد.
الوطن صخرة سيزيف
ملفوفة فى الحرير.
الوطن حصان
بسرج من جموح
ولجام من حنين.

الوطن ساعة بعقرب واحد
يلدغ كل من يسأل :
كم الساعة الآن
أيها الوطن ؟
الوطن حارس لاينام :
فهو ساهر أبداً
على أرق الأعداء.
الوطن عطار هرِمُ
مذ كان
وهو يفسد
ماأصلحه الدهر.

الوطن هو خيانة
الجغرافيا للتاريخ
على مرأى من العصور.

الوطن شيك على بياض
لايمكن صرفه
إلا بعد الادلاء
بشهادة الوفاة



الوطن تاج
مرصع بالعيون
لذلك
يحبه الشعب
حبا أعمى.

الوطن امتحان ملتبس
ترسب
اذا نجحت فيه
ولاتنجح
إذا رسبت
الوطن رسالة
بلا رسول

شعر

أزيز الرمال

سمير محسن

المدينة مثل أزيز الرمال
بقامتها تقرب الوجع الآدمى
شوارعها تستبيح البيوت
وتلقى بزفرتها للمحاق
بعنف وصبر
بغدر وحب
بوارقها ألف طير يماوج كل العروق
نمارقها كل بوح الضمير
وسهو الغدير
المدينة ليست تطل علينا
ولاتشرق الآن بين الدموع
لها شمسها المستحيلة بين الأصيل
لها طلعة ليس كل الضلوع
وغيب من الماء والنار
ياعنفها عندما تسرق الآه!!
يالينها عندما تحضن الساحات !!
المدينة كل اندلاق الغريق
وكل انتشاء السحيق
لها مالنا
مالها مالنا
الأكف الشريدة أنت
انعتاق السحاب
انفلات الصحاب
المدينة ليست خطاباً يفتش عبر الجواب
المدينة ألف سؤال يجوب العظام
وشامخة عندما تستريح

وهائمة عندما تستشيط!!
ورائعة عندما تبلغ الحلم!!
تلعب كل الطفولة
تغدو كما الناعسات
تحب البنات
وتعشق عند الشطوط
على هزة النخل
تحضن كل العذاب
وتلقى به حجرها
لغد مستحيل!!
وعمر ضنين !!
شعيرتها القوقعات
صديقتها الصدفات
وعمق المحار
تغار على حسنها الزاهدات
وعرض البحار
لها الكون يدنو
وتدنو الهدوم
لها مايدوم
المدينة أصل الضباب
نهز عليها الشموع وكل السراب
فمن يصطفيها ؟!
ومن يعشق الفرح فيها؟!
ومن يحزن الساعات؟!
المدينة بيت الأيادى كما السابحات
حقول من الغم
شئ من الزهو والبهو والحرمات؟!
المدينة ليست صفات ؟!!

قصة

بنـــات فـــى بنـــات

صفاء عبد المنعم زايد

تصورات زرقاء

بعد لحظات سيغلق الباب على نفسه ،ويجلس وحيداً ، يجرب آخر كلمات قرأها ، ويقضم أظافره حتى تبيض ، ويشعل سيجارة من سيجارة ، ويدخن بشراهة المستمتع . إنه لايسمع الموسيقى الآن.

ولايحب الخرافات الدينية.

ولايشم الرائحة النتنة المنبعثة من بين أصابع قدميه.

إنه لايبالى بما يحدث خارج الحجرة الآن.

الزوجة تعد طعام العشاء ، تغلق شبابيك البيت ، تطفئ السخان بعد أن غلى الماء.

إنها تجهز نفسها لاستقبال الليل ، تخرج من الدولاب ، قميص نوم أزرق.

فرش السرير أزرق ، حجرة النوم بيضاء ناصعة ، تضفى على الأزرق شباباً ، ودفئاً ، ونعومة.

عفش البيت أبيض فى أبيض ، الحيطان بيضاء ، الستائر بيضاء ، أطباق الطعام بيضاء ، كأن البيت تسكنه الملائكة.

والرجل القاطن الحجرة المجاورة ، يدخن بشراهة ، ويشعل سيجارة من سيجارة ويستمتع.

لايبالى بما يحدث خارج الحجرة.

عشقى الأوحد .

أكتب وأنا أحس بشوق إليك يجتاحنى ، شوق البحر لأن ينداح فوق شاطئه الجميل ، مبعثراً على جسده الملائكى كائناته مفرطة الحساسية والضعف .. كى يستمد نبض حياتها الدائم من السلام الأزرق الصافى الذى تشعه عيناكِ فى عمق بحرى الذى أمن بعد تلاطم أمواجه :

أن للبحر ضفة واحدة)

وهكذا ينسج تصورات زرقاء ليس لها دليل من الصحة فقط ينفث هواء السيجارة ويدفعه عاليا .. وينظر إليه طويلاً ، ثم يعود يشعل سيجارة من سيجارة من سيجارة وهى تجهز نفسها .

* * *

ورطة

سأتسلح الليلة بأشياء جديدة علىَّ ، حتى لاتركبنى وأنتَ تطلب القبلة الأخيرة قبل النوم .

فلن أدعى أننى مريضة ، أو أننى متعبة من العمل .

ولن أفسح لك مكاناً أكثر مما يتيح لجسدك أن يظل على جانب واحد لايغيره.

بل سأدعى الرضا كل الرضا ، وأعدك بالمزيد من القبلات ، وربما أطمعك فيما هو أكثر من ذلك ، شرط أن تطرد الناموسة التى تزن فى أذنى ، وتقلق راحتى.

عن طيب خاطر ، تشعر بسعادة ، تغلق الشباك ، وتحكم غلق الباب ، وربما تطفئ النور ، وتحاول ، بل ربما تبذل جهداً لمطاردة هذه الناموسة.

وكلما سمعت زنها ، أشرت لك بأصبعى عن المكان . تسرع إليه ، فأشير بيدى إلى الجانب الآخر.

– هنا .. لأهنا.

فوق التسريحة.

لا .. لا .

على ضلفة الدولاب.

اسمع قرب النافذة.

وكعازف يجيد العزف على آلته ، تقفز بخفة من السرير للأرض.

من الأرض إلى السرير.

وكلما رأيت حماسك يشتد ، ازداد تشبثاً بقتلها.

حتى لاأكون ثلجاً

سأقفز من على المكتب إلى المطبخ ، أعد وجبة ساخنة . سأقرأ عن النساء فى الأرجنتين ، وعن الحجاب فى تركيا ، وعن نساء إيطاليا فى المظاهرات .

سأقرأ كل ماتقع عليه يداى عن المرأة ، عن الرجل ، عن الحب ، والدين والسلطة والجنس ، عن كيفية الخروج من الحظيرة المغلقة ، عن استضافة أصدقائى بحرية زائدة ، والتحدث فى موضوعات شتى ، عن السياسة والعنف ، والعمل مغلقة .. كلها حريم ، أو كلها رجال ، عن سوء التغذية ، والحمل والإجهاض.

عن البنات المحجبات داخل مدرجات الجامعة ، عن شباب الخريجين ، عن سائقى التاكسى ، عن حق المواطنة ، كل ذلك سوف أفتح تاريخه .

وكى لاأكون ثلجاً ، سأردد أغنية لمرسيدس سوسا من الأرجنتين

« كل مرة يمحون فيها شخصى

كنت أختفى من الوجود

وحيدة ومن عينى تسيل الدموع

كنت أمشى وراء تابوتى

كنت أربط عقدة فى منديلى

ولكننى كنت أنسى

أن هذه لم تكن ميتتى الأولى

فأبدأ الغناء من جديد »

كيف جرؤ التاريخ على اختزال كل هذه الآهات؟

طعم الشاى الساخن يثير أحقادى نحو الحياة ، طالما لن يذكر فيها أننى كنت يوما أحاول أن أكون شخصاً مستقلاً.

*　　*　　*

بنات فى بنات

من منا لم تجن عندما رأت باب المدرسة الاعدادية لأول مرة.

والعصافير النافرة تزقزق تحت القمصان البيضاء ، ولأول مرة تصبح المدرسة بنات فى بنات.

كانت الحجلة لعبة جديدة تضاف إلى إرث الألعاب القديمة . والبنات الكبيرات تسرقن المقاعد ، ونجلس نحن الصغيرات ، فصول سنة أولى فوق الدكك.

متى نكبر كي نستّرد ماأخذته منا الكبيرات ؟

الكبيرات أجسادهن ضخمة ، صدورهن بارزة ، وأبلة الألعاب تصر على لعبة التوازن ، ونطة الحصان .

البنات البيرات خائفات ، وعصا المدرسة خلف ظهورهن . فصول سنة أولى ، لاتهتم بحصص النحو ، خاصة أن المدرس كثير الغياب ، فقط يترصصن مذهولات فى النوافذ للفرجة على البنات ، ولعبة التوازن فوق السور.

في يوم رأينا مدرسة الألعاب ، تقف منهارة فى الحوش ، وناظرة المدرسة تُعنّفها أمام البنات.

- ياأبلة ..

البنات فارت!

عِطرتِها تنط منها ، تودينا فى داهية .

بطلى جنون بقى.

ولعبيهم ، لعبة على قدُّهم.

ولاأقولك ، بلاش لعب أحسن .

توقفت حصص الألعاب.

فكانت البنات فى لعبة الحجلة تنط ، وتتقافز ، ونحن الصغيرات نجرى مهرولات ، خائفات أن نقع .

* * *

شعر

زى ماكون بتكلم جَدْ

جمال حراجى

امبارح الضهر.. وفى عز الشارع
ماهو فاضى من الناس
والسريحة .. وبياعين الفُلْ
علي الحبيبة اللى ماهماش
حبيبة بجد..
كنت باحاول اصطاد روحى
الهربانة على الرصيف التانى
من نفس الشارع
وكل ما أحاول أمد أيدى
ألاقى رجلى بتبعد
فيهرب ضلى تحت العربيات
المركونة بعناية
على حيطان مرسومة فى أكياس نايلون
ومذيل فى أخرها عناوين
البازارات ودكاكين الخمر،
ومحطات البنزين المغشوشة بالميه
ومحلات أخر صيحة من موضة ألفين
وباحاول أمد فى خطوتى
وأساويها بروحى الهربانة

فى شوارع مصر المحروسة
زى ما اكون بتكلم جد
زعقت فى وش العسكرى
المحشور فى الجزمة الميرى
ومازعلش لأول مرة فى حياته
ونصحنى بأنى أبعت
برقية لسحرة موسى.
ولقصاصين «الأتر» في صحارى سيتى
والأراضى البور
ووعدنى إنه ح يسيب
«القوات المشتركة» تدور براحتها
ومايعترضشى .. حتى ولو فتشوا
فى سترته الميرى أو دوروا
تحت جلده..
المهم إنى الأزمة .. اللى اتسببت
فيها بوقوفى فى الممنوع
الغرض كان.. مغرى جداً
وأنا محتاج أتصالح مع روحى
الهربانة تحت العربيات اللى
أصحابها سابوها .. وناموا فى الأدوار العليا.. وغطوها بمشمع
قابل للسرقة فى أى زمان
وعشان كده كان لازم أغير اتجاهاتى
في شوارع تانية مفيهاش عربيات
مركونة ولاحيطان مرسومة فى أكياس نايلون
وبرده فاضية من السريحة.. وبياعين الفل
وعساكر الدورية .. والحبيبة اللى ماهماش
حبيبة بجَدْ!!

قصة

أطلس جديد لقارة أفريقيا

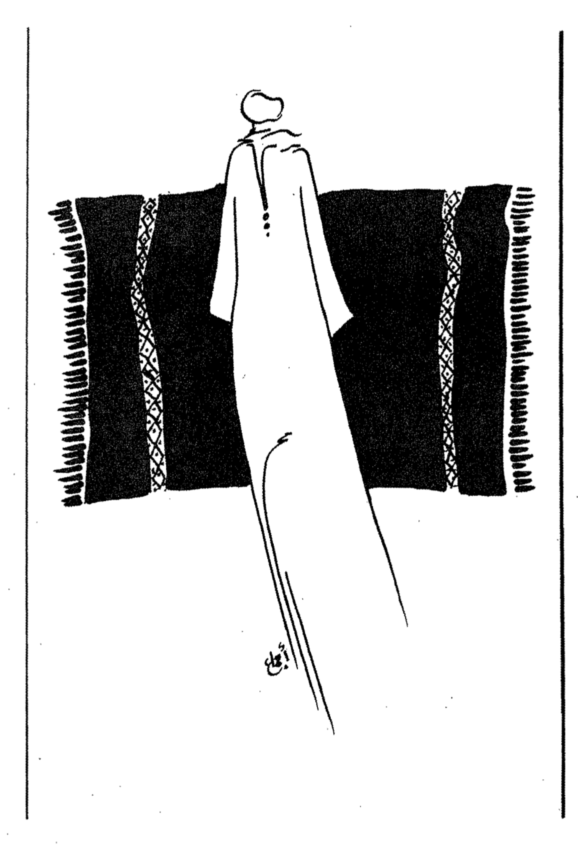
وحيد الطويلة

لانك لم تستطع المرور بين الطاولات الملتصقة إلى زاويتك الأثيرة ، فقد انتظرت قليلا ، ترسم على وجهك ابتسامة صغيرة للجالسين كى يسمحوا لك بالمرور غير ضجرين .

تمسك بيدك الوردة التى قدمها لك النادل عند دخولك احتفاء، ولأنك خجل بعض الشئ بعد أن كنت قديما خجلا صرفا ، ابتعدت بعينيك حتى يهزوا خلفياتهم ، ويعدلوا كراسيهم ، فسقطت - أى والله العظيم سقطت - على جانب وجهها المستحم استحماما ربانيا ، وخلفها لوحة بيكاسو التى تعرفها - وقد أحاطه البرواز من جوانبه ، ورغم أن الجالسين على الطاولتين اللتين انفرجتا لتعبر بينهما لم يظهروا امتعاضا بالمرة ، فانك لم تعتذر كعادتك مثلما لم يعتذر لك الولد الذى صادفته قبل دخولك للمقهى ، وهو واقف يتحدث في تليفون الشارع لنصف ساعة ، رغم أنك لاتحب الاولاد الذين يحلقون شعرهم [بانك] ، ويلبسون هدوما متشابهه ، وأحذية كبيرة عريضة الوجه .

لطعك الولد كثيرا ، ولكنك دون أن تتلصص سمعته يقول ، أنه سوف يذهب إلى هناك من أجل [المزز] ، ولانك ضقت ذرعا بطيبتك ، فسوف ترفع وجهك غير عابئ بالثوريين اللذين يجلسان معها على الطاولة ، ولا بالبنت التى تلبس بنطالا لامعا ، متماهيا تماما مع ساقيها المجرمتين ، وستصطنع النظرات هنا وهناك مرة مع النادل وأخرى مع حامل الفحم ، وسوف يعلو صوتك حين يتأخر لتقول «ولعه» وأنت تختلس النظر اليها :

أنف ناديه لطفى فى « الناصر صلاح الدين » ، وجه على حافة النار خرج



لتوه من   أوضبة الفرن في شهر طوبة ، كسته بطبقه من السيمون حتى يخفي تضرجه ، وحتى الروج كان سيمونا بخلفية من البنى الفاتح . وعندما تتحول ببصرك إلى الطاولة المجاورة مراوغا نظرات الثور الجالس بجانبها ستكتشف أن عيونهم تكاد تنخلع من البحلقه ، وابتسامة أحدهم تطفر من وجهه مؤكدا أنه معك على الخط ، فيقع بصرك –أى والله العظيم – على صدرها الذى يعلن عن حضوره بشكل مفاجئ ، فتتذكر عمتك نميرة وهي تحكى لامك وأنت صغير عن واحدة لاتتذكرها بالطبع لأن المرتفعات لم تكن تعنيك وقتها – وهي تقول بزازها جالسه – وتكور يديها فى الهواء الذى تسلل فى التو من الشباك المجاور لها فأضاء مقعد الجلوس فتعتدل فى جلستك ، ولا يؤثر فى الأمر بالطبع أن عمتك نميرة كانت لثغاء.

ولأنك لاتضمن أن تراها ثانية –إذ وقفت وصديقتها والفحلان وقد اشرأبت قرونهم فى ليلة دخول القرن الجديد – فتفنجل عيونك عن آخرها ، إذ ستكتشف أن هذا الوجه الهادى نسبيا يهب متربعا فوق جسد من نار جهنهم ، تحمل معها حوائجها لألفية جديدة ، فتتعجب للحظة ، ثم تزفر عجبك فى أنفاس الشيشة ، ويأخذك القد" المياس لتسقط – أى والله العظيم – تسقط على صخب انحناءاتها ، تعبر أمامك ، تحمل جغرافيتها وتاريخها كما يقول حلمى سالم ، وتفكر للحظه أن تستدعى النادل بعد يومين لتسأله هل : حلمي أتى الى هنا   من قبل ؟ ولكن عمتك نميرة تزيحه قليلا وهي تقول ..[عينيها حلق ، وقعرها غلق] ، ولأنك تحب الكنبة الفرعونى فى غرفة الجلوس فأنت تحملق فيها جيداً لتتبين ما الذى يجمع بينهما ، وقد تخفف حنقك كثيرا على الأمير تشارلز الذى ترك الأميره ديانا ، وقال للعجوز الشمطاء التي يحبها : إننى أريد أن أقضى بقية حياتي فى بنطالك – وحين تتسحب بأطلسها أمام طاولتك فى الممر ، تشعر بالقرن القديم وهو ينتفض مصطدما بأسفل الترابيزه .

وجارك في الطاولة الملاصقه يتلمظ ، فلا تعيره أدنى انتباه ، ولاتغار عليها منه، ،حين تتقطع الأنفاس إلا من جمرها الذى غطى على جمر الشيشه ، سوف تخرج لسانك بقوة للوحه بيكاسو ، حانقا على الولد الذى عطلك أمام التليفون ، دون أن تنسي بالطبع أن تشكر حلمى سالم إذا لقيتة ، وأن تقرأ الفاتحه على روح عمتك نميره ...آآآآمين . .

شعر

أوجـــــــاع

عبد القادر عيد عياد

وجعى على مأتمى
والآهة .. فضاحة
فأمانة يامؤلمى ..
أوجعنى بالراحة..

متجمعة .. بعض الهموم المختفيّة برغبته
متشعلقين .. على حبال الليف
وململمين العيس..
بين العرا .. والمرا.. وجه الشبه معروف.
وان داس على وجعك
ماتنحنيش للخوف
لم الفتات .. وامشى..
فوت فى الجدود جواك
قلب الجبان صدّك
وإن كان يادوب حدّك
إنك تبات مكسوف
القهر زى الخمور..
عدينها كاس ورا كاس
يادوب على التالت

تلقى الحنين جابك
للذل صوت مألوف

*   *   *

نصبوا الزينات .. ياما .
لما العزيز عدًا
رشوا المدينة يُفط..
وخيوط ملاها الرد..
وادى الحروف .. من دمى مخطوطة
واللازمة محطوطة
يامرحبا ..
كاسى فرغ ..
علّقت باقى الفكر ف الطرابيش
زمن انقرض منه الجذور ..
وماعدشى غير برواز ..
رسم انحنى جواه ..
دموع اتسحبت منى ..
محشورة ف النني..
متعبية الريح بالوجع ..
مستنية .. لحظة أدانْ
يتجمد الغيم ..
عند الشروع يمتدْ.
تترسب المطره ..
على جدل الشجر ..
وتهج بيك الشوارع ..
يصدمك بابكْ..!!
إيه اللى جابك ..؟!
كنت خلاص .. ح انساكْ
لسّاك بتغوى الكتابة
تنقلها .. وتقولها..

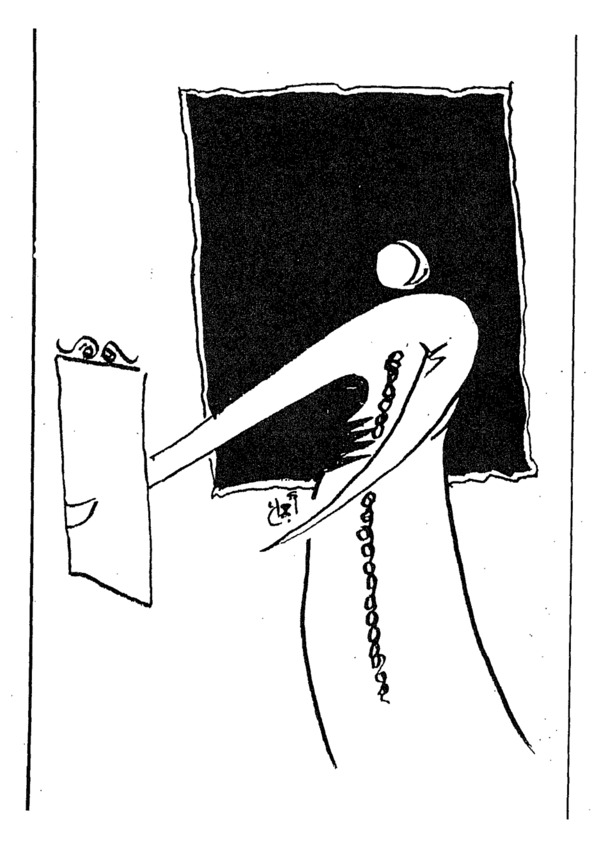
أن شعشعت جواكْ

* * *

من كام أدان بتلم فيك بكرة؟
وتأيفه .. على قد حلمك فى عيون غيركْ
الرغبة أكبر من شعار يدوب إلى تلج الزمن ..
ويضل يستنى دفء الساعات
تتسرسب المطرة ..
على جدل الشجر..
وتهج بيك الشوارع ..!
تلتقيك فى فراغ..
بتعافر الضلمة .. والجوع ..
واللى واقفين لك
سانين ضوافرهم ..
بيقسموك .. ستين على ستين !
ويفنطوك .. كما الشَدَّة
تنشد من نبضنا..
عشرين تلاف شدَّة
حلم اندفع ..
جوَّة كابوس الهم
بيطحنه .. بشوقه وبيستلذ الألم..
متشبّعة عروقه
بحاجات .. ماهياش دمْ!

* * *

أقعد ف حجر المرارة تهشكك وتنام
على لحن العزا ..
صوت الحمام مدبوح ..
وبتنتعش م النوح ..
ويضم أخوك الخوف على دراعك
وتحب من باعك ..!



ويشدك الموت
عن إنك تبات مجروح

*　　*　　*

رشوا الولايم
والخيام غطت
ألوف متكدسين ..
يستنوا ف اللحمة ..!
ونتوه مع الزحمة
نقرأ كتاب انفتح ..
من قبل ميت مرة
إن تطعم الفم .. تستحى عينك
وتشتريك القرفصة
على أنجر الفتة
ويزغطوا عقلك
حتة ورا حتة
وتدوس بلا رحمة

*　　*　　*

آخر نبأ هزنى
من يومها مابنامشى
لما انسحب الأبيض
خلّف خطوط الدمْ
اختلت الموازين
واترصّعت بالغم .. كل الجرايد
عديت على حروفها
يادوب حرفين أدب
مع حرف للإصلاح
باقى القصيد ..
تهبيش ولاد العمْ
والبرلمان أقسمْ

وحطّها ف جلسته
فلابد أن تلتم

*   *   *

وتوزعك مهنتك
جوّه شوارع بور
ماأروع أن تنحنى
ونعدّى من فوقكْ
يمر من جواك ألاف الخلق
يسبقوا السكة
ويقلعوا التقاليع
والباقى بس يادوب
مرارة حلق
متوزعة ع سطور

*   *   *

أفتح بواقى الخبر ..
أقرا .. يادوب حرفين
كان الفقيد حالف
ماعمره ح يخالف
يفضل على عهده
ننذب على زهده
قصة .. ولو سطرينْ

كتـاب

من وحى :

« حكمة المصريين »

سيد اسماعيل ضيف الله

يبدو أن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان باصداره كتاب « حكمة المصريين » ، الذى حصل أخيراً على جائزة أفضل كتاب لعام ١٩٩٩، قد نجح فى توصيل رسالته إلى حد بعيد .. فالهدف صناعة المستقبل اللائق وإنهاء عذابات هذا البلد ، والوسيلة تفعيل المواطنة، وبين الوسيلة والهدف رهان على الأجيال القادمة . ومن ثم يصبح فرضاً واجباً على مثقفى مصر وعلمائها تعبيد الطريق قدر المستطاع ، وليس سده باشكاليات تضيق بها الصدور أو شعارات تسخر منها العقول أو مخاوف تميت القلب الحى. وهذا ماسعى إليه مؤلفو هذا الكتاب واضعين نصب أعينهم شبابنا من المرحلتين الثانوية والجامعية . وذلك من خلال عشرة فصول ، تناول الفصل الأول منها« تكوين المصريين وحضارتهم الأخلاقية» مؤكداً على أن حكمة المصريين جمعت" بين أطروحتى الأخلاق والعقل فى رباط لاينفصم" ، إذ توافرت وتضافرت عدة عوامل جعلت من المصريين أصحاب المبادرة الحضارية الأولى بلا منازع ، ومن هذه العوامل وجود النيل ومعرفة الزراعة النهرية مبكراً وقيام مجتمع سياسى مركزى مستقر والتشبع بفلسفة سياسية اجتماعية تستند على إجماع المصريين على احترام القانون وكذا المعارف العلمية والتكنولوجية الرائدة إلا أن الأخلاق لعبت دوراً جوهرياً فكانت بمثابة " المايسترو" الذى عمل على إنتاج التناغم المدهش بين كل هذه العوامل فى فترات الازدهار ، وإصابة الأخلاق بالفساد فى فترات الفوضى والانحطاط يفسد ألحان العوامل الأخرى وإن كان لايمنعها الوجود.

أما الفصل الثانى " مصر والعالم" فيثير سؤالين ، يتعلق الأول منهما بمعرفة الآخر والثانى باثبات الاتصال فى التاريخ الوطنى المصرى . والحقيقة أن السؤالين غير منفصلين ، ذلك أن رؤية مصر للعالم ورؤية العالم لمصر

تأسست فى التاريخ القديم على إيمان راسخ عند المصريين واعتراف من الشعوب الأخرى بأن مصر صرة العالم ومهده وأستاذته ومعبده وحقله ولغزه ، وهذا فى حد ذاته ماحمل البعض على الاعتقاد بأن الحضارة الفرعونية" لاأباء لها ولاأبناء" ، ومن ثم كثر الحديث عن الفجوة والانقطاع .. إلخ ويمكن الرد على سؤال " الانقطاع " بأنه فى حقيقته ضعف السلطة السياسية المركزية أمام غزوات متتالية دفع ثمنها الشعب المصرى الذى ظل طوال ألفين وخمسمائة عام محروماً من الحكم الوطنى حيث كان يسلمه احتلال إلى احتلال والوجه الآخر للإجابة أن مقاومات المصريين المستمرة لشتى أجناس الاحتلال إن فشل بعضها على المستوى العسكرى أو السياسى أحياناً إلا أنها لم تفشل مرة واحدة على المستوى الحضارى ، ولذلك هناك أدلة قوية على الاتصال الحضارى تكمن فى الصمود الحضارى أمام أى احتلال وعدم الذوبان فيه بل والتأثير فيه حضارياً، وكذا الاستمرارية المشهود لها لغوياً فى " العامية المصرية" ومظاهر التشابه بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية ومنها العربية وكذا استمرار تأثير المعتقدات المصرية القديمة على اليهودية والمسيحية والإسلام على مستوى العقائد والطقوس . ويتناول الفصل الثالث " الحياة المدنية" فى مصر من منطلق أن البناء الاجتماعى المدنى هو الضمانة الأولى للاستمرار الحضارى .. ولايعدو أن يكون البناء السياسى ذا دور ثانوى فى ذلك . ويستعرض الفصل فئات المجتمع المصرى الأربع (الموظفين - الصناع - التجار - الفلاحين وفقراء الحضر) بغض النظر عن فئة الحكام ، ليحدد سمات هذا البناء الاجتماعى من خلال مناقشة الثوابت والمتغيرات الحاكمة لهذه الفئات . وفى ضوء استمرار وعى المصريين بتميزهم الحضارى الذى تدعمه خصوصية البناء الاجتماعى وخصوصية المرأة المصرية والخصوصية الثقافية .. إلخ يستخلص هذا الفصل ملامح هذا التميز الحضارى ، والتى تمثلت فى :

١- التجانس ٢- التسامح ٣- التوازن الطبقى ٤- التضامن والتساند.

ولعل مساءلة الواقع عن هذه السمات يشير إلى أن قنبلة" التفتيت" لم تنبتها الأرض المصرية ، وإنما ألقيت من أعلى ، مثلما ألقيت القنبلة الذرية على" هيروشيما" ، ولاينفى هذا وجود جهلاء توهموا " القنبلة" " علبة حلوى" أو منتفعين من إلقائها على المستوى الفردى . أما الفصل الرابع « الحياة الدينية » فهو بمثابة إجابة مفصّلة ورادعة لمن يّدعون أن الحضارة الفرعونية لاأبناء لها ، إذ يعدد الشواهد على استمرار معتقدات وطقوس للمصريين القدماء حتى الآن ، ودخولها فى صلب الأديان التى اعتنقوها « المسيحية - الاسلام » مما شكل « ديانة شعبية Popular Religion فى مقابل الدين الرسمى ويرصد هذا الفصل ثلاثة جوانب لهذا الاستمرار هى: ١- فكرة التوحيد ٢- فكرة الخلود والبعث والعالم الآخر ٣- النظرة إلى الأنبياء والأولياء والقديسين . والاختلافات فى التفاصيل لاتنفى استمرار الجوهر. ويتناول الفصل الخامس « فن سيد نفسه»

البعد الجمالى فى الحضارة المصرية فى حركة مكوكبة بين مصر القديمة من ناحية ومصر الوسيطة أو الحديثة من ناحية ثانية مؤكداً على عراقة الأدب والفن المصرى القديم وتأثيره على آداب وفنون الحضارات الأخرى وكذا تأثيره أو بالأحرى استمراره بشكل أو بآخر فى وجدان الفنان أو الكاتب أو الشاعر المصرى فى العصر الحديث . وثمة إشارات مهمة فى هذا الفصل للجذور المصرية القديمة لمفاهيم وليدة العصر الحديث مثل السريالية والوجودية و« الفن للفن» وحقوق الإنسان وحرية الكتابة وموت المؤلف .. إلخ على تنوع المجالات المعرفية لهذه المفاهيم . غير أن ثمة إشارتين جديرتين بالبحث لأهميته ، الأولى تتعلق بـ" كتابة الجسد" وجذورها المصرية القديمة مما يؤكد أن الحضارة المصرية حضارة حياة فى جوهرها . والثانية تتعلق بالجذور المصرية القديمة لـ « قصيدة النثر » مما يدعم القول بأن" تحلل الشاعر المصرى من قيود الوزن يجعله أكثر حرية فى تعبيره وصياغته الفنية ».

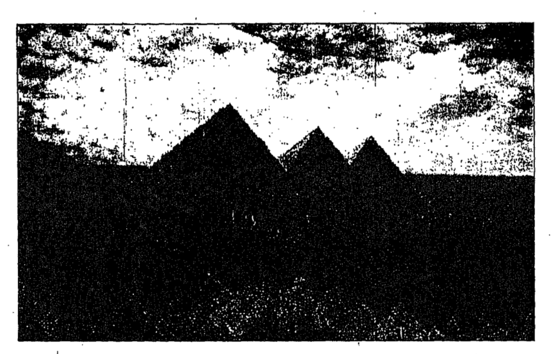
ويحدد الفصل السادس « التكوين الحضارى للمصريين .. من الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى » العناصر الفاعلة فى هذا التكوين الحضارى وهى الموروث الحضارى القديم والإسلام والأثر الفعال لعملية تعريب مصر فى الصياغة الحضارية الجديدة والعادات والتقاليد والموروث الشعبى والطبيعة النهرية لمصر .. كل هذه العناصر كفلت أن تعيش مصر فى ظل هذه الفترة بتكوين حضارى واحد موحد للمصريين (المسيحيين والمسلمين) على السواء.

ويعالج الفصل السابع أهم إنجازات الحضارة المصرية وهى " الثقافة" فوجود مصر فى التاريخ البشرى وجود ثقافى" ، ومن منطلق أن الثابت يتغير والمتغير يثبت تتبع الفصل الملامح العامة للبنية الثقافية المصرية إذ يلاحظ أن دور مصر كان رائداً فى العلوم فى تاريخها القديم الفرعونى لكنه تضاءل فى المرحلة القبطية والعربية كما يلاحظ أن دور مصر فى المرحلة العربية هو الحفاظ على الثقافة الإنسانية التى ورثتها الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارات الأخرى ، كما أنها أبدعت فى مجالات ثقافية محددة مثل الشعر الصوفى والأدب الشعبى والموسيقى والعمارة . ويعد هذا الفصل أكثر الفصول مدعاة للجدل والخلاف بمعالجته للبنية الثقافية الحديثة وتقييمه لأدوار تنويريين أمثال محمد عبده وقاسم أمين وأحمد لطفى السيد وطه حسين ، وهو خلاف ليس على الشخصيات بقدر ماهو خلاف على" اتجاه النهضة أصلا" ومدى تحققها ، غير أن هذا الخلاف لايقلل من أهمية حقيقة مؤكدة وهى أن وراثة فكرة " المستبد العادل" التى أفضت إلى الحكم المطلق هى أكبر معوقات التحديث ، ونرى فى العلاقة الأبوية بين التنويريين والسلطة معوقا آخر من معوقات التحديث .

ويختتم هذا الفصل بتحديد مفتاح النهوض وهو " إعادة العافية إلى التفاعلات الداخلية فى البلاد ، وهو مالايتم سوى عن طريق الديمقراطية

دراسات حقوق الإنسان ٤

حكمة المصريين



تقديم وتحرير: محمد السيد سعيد

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

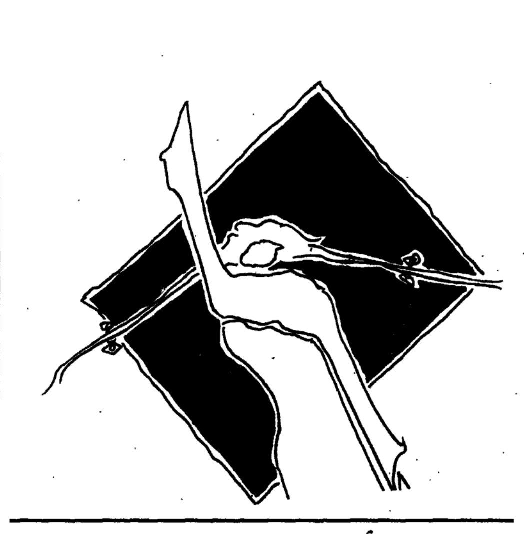
كاختيار جماعى » والاستفادة من المخزونات الثقافية لكل مراحل التاريخ المصرى دون قهر أو وقيعة والاستفادة من كل عناصر المجتمع المصرى دون تجزئة أو اقتطاع لعنصر فئوى من نسيجه الثقافى.

ويتتبع الفصل الثامن « العلم والتعليم والإبداع العلمى» التطور العلمى الذى شهدته مصر فى مختلف عصورها معللاً لمراحل ازدهاره وتراجعه ، ومن منطلق العلاقة الوثيقة بين الإبداع العلمى يتناول الفصل حالة التعليم فى مصر الراهنة تناولاً نقدياً.

أما الفصل التاسع " السياسة والحكم" فيرصد استمرار الطبيعة الاستبدادية للسلطة فى مصر سواء كانت وطنية أم أجنبية ومواقف المحكومين المتفاوتة بين الرضوخ والتمرد .. معززاً ذلك بتحليل فولكلورى عام للشخصية المصرية فى علاقتها بالسلطة ، ونفهم من هذا الفصل أن هناك عاملين تعاونا بشكل مباشر أو غير مباشر أحيانا لسلب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن الحرية مما أفضى إلى إجهاض أى محاولة للنهوض هما الاحتلال أجناسه وأنواعه والطبيعة الاستبدادية للحكم فى مصر على مر العصور إلى يوم الناس هذا .

ويستشرف الفصل الأخير « مصر تدخل القرن الحادى والعشرين » آفاق المستقبل فى ضوء قراءة للنظام العالمى وموقع مصر منه ، وتتميز هذه القراءة بدرجة من الصراحة مع الذات حول الوضع الراهن فى مصر على مستويات عديدة (الاقتصاد - التعليم - الصحة - السياسة .. إلخ) ومن ناحية ثانية عدم إغفال ضرورة مقاومة الهيمنة الأمريكية على مقدرات الأمور محليا وإقليميا وعالميا والمشاركة بفاعلية فى بناء الداخل بشكل صحيح وقوى حتى يكون ضمانة قوية لعدم تحول مصر إلى مجرد" فريسة" يتصارع عليها الأقوياء كسالف العهد بها.

وأخيراً ، لنا ملاحظة حول الكتاب تكمن فى أن تباين الخلفيات المعرفية واختلاف المواقع الأيديولوجية لفريق البحث ظهر أثره - رغم المناقشات - فى تقييم أحداث أو مراحل تاريخية ، من ذلك على سبيل المثال الاختلاف فى تقييم فتح العرب لمصر(انظر ص ١٥٣ وص ٣٢٨) .



الأجـــــندة

إعداد : مصطفى عبادة

فاكهة الندم .. فاكهة فلسطين:

إذا قابلت الفلسطينى ظننت أن الدنيا كلها شعر ، تأكل ، وتشرب وتتنفس شعراً ،هكذا شعرت وأشعر كلما قابلت فلسطينيا ، فهو رغم همومه الكبيرة ، التى نشاركه فيها، إلا أن إحساسه بالشعر مختلف عنا ، الشعر بالنسبة له هو إكسير الحياة يفكر به فى قضاياه ومشاغله وعمله، وقد زارنا فى مقر أدب ونقد الأصدقاء الشعراء الفلسطينيون : عبد الناصر صالح ، وسليمان دغش ، ومعين شلبية ، وأهدونا أعمالهم الشعرية الجديدة ،أحاول هنا فقط أن أقدم خبرا بسيطا عن واحد من هذه الدواوين هو ديوان « فاكهة الندم » لعبد الناصر صالح على أن تكون لنا وقفة مع باقى الأعمال فى أعداد قادمة.

« ثمة امرأة
تتبوأ مقعدها الخشبى
وتمشط أهدابها فى المرايا
ما الذى يتراءى لها فى الحديقة
قلت: أحث الخطى نحوها
وتقدّمت
لكننى عدت منكسراً مثل غيمة صيف
وتملكنى الخوف
حين سمعت صدى الصوت يأتى
ورأيتهما
كانت الشمس ترسو بمينائها
وتواريت فى الظل »

هكذا يهل عبد الناصر صالح فى«فاكهة الندم» ديوانه الجديد الذى صدر عن بيت الشعر فى فلسطين ، فى إطار مشروعه الثقافى والإبداعى الذى يكرس الدور الإبداعى فى تأكيد الحرية وبنائها وحراسة الحلم الفلسطينى الأعلى متجاوزاً حاجزى الجغرافيا والسياسة اللذين فرضا تقسيماتهما على المبدعين الفلسطينيين، سعيا لتثبيت جسور التواصل مع العمق العربى.

الديوان فى مجمله حاشد بلغة بسيطة شفافة تتدفق فى سلاسة وانسياب ،تتوحد فيها المحبوبة بالوطن بالحقيقة ، ويتداخل فيها العام والخاص فى قالب فنى ابتعدت رؤاه كل البعد عن الغموض ، يتميز الديوان بغنائية عالية ، وطيوف موجعة بقدر ما تحمله القضايا التى طرحها الديوان من مرارة وألم وشجن . فمن يستطيع أن يلوم الفلسطينى على غنائيته.

فاكهة الندم هو الديوان السادس لعبد الناصر صالح حيث صدر له من قبل «الفارس الذى قتل قبل المبارزة» عام ١٩٨٠- «داخل اللحظة الحاسمة» ١٩٨١ -«خارج الفرح» ١٩٨٦ «المجد ينحنى أمامكم» ١٩٨٩ «ونشيد البحر» مطوّلة شعرية فى عام ١٩٩١.

أقلام مصرية

ضمن سلسلة «أقلام مصرية» التى بدأ اتحاد الكتاب فى إصدارها تخفيفاً لحدة أزمة النشر عن أعضائه صدرت خمسة كتب دفعة واحدة هى: «وما زال الدم يبهج» للشاعر محمد فهمى سند، ورواية «الحرب الثالثة» لعبد المنعم السلاب، وديوان«اسكندرية المهاجرة» للشاعر أحمد فضل شبلول ، ورواية «شقة الهوى والهوان» للقاص إيهاب سلام ، ومجموعة قصصية بعنوان «بكائية للوطن والغربة» للقاص رأفت سليم.

يتميز ديوان «ما زال الدم يبهج لمحمد فهمى سند بكونه وتجربة رصينة تعكس مقدرة الشاعر وتمكنه وقدرته التى اكتسبها من تاريخه الطويل فى كتابه الشعر ، فهو إلى جانب دقته فى اختيار مفرداته يرى العالم من حوله بعين متورطة فى الأحداث لابعين الذى يكتفى بالمتابعة من بعيد، لذلك نجد قصائده مشتبكة مع مشكلات الوطن وهمومه ومشكلات المواطنين أقرانه.

اللافت للنظر أيضا أن (الوطن) فى مفهوم الشاعر ليس الحدود الضيقة لمصر وحدها ولكنه يمتد ليشمل الوطن العربى الكبير ، فمن (صناديد) القرية الصغيرة فى محافظة الغربية ، إلى بغداد المدينة العربية الأسيرة التى دمرتها أهوال حرب كبرى لايدلها فيها.

أما رواية الحرب الثالثة لعبد المنعم السلاب فالقراءة الأولى لها «تعكس

قصة صراع تقليدى فى قرى الريف المصرى فى الوجه البحرى على منصب العمدة ، فحينما فقده الوريث التقليدى تفجرت بخار الدم بين العائلتين الكبيرتين مما استدعى تعيين عمدة من رجال الأمن (الشاويش إبراهيم) البدوى الذى أكل قلب ذئب وهو فى العاشرة ثم تطوع فى البوليس وعمل سجانا فى أحد المعتقلات . وتم تكليفه بمهمة كشف غموض قتل ثلاثة من رجال القرية ثم يجد نفسه متهما بقتل الرجل الرابع مما يستوجب تقديمه للمحاكمة.

لكن النص لا يقف عند هذه الدلالة الأولى ، ويأخذ قارئة إلى مناطق أبعد من خلال عدة تقنيات تجاورت كلها فيه ، فمن خلط الواقع بالوهم بالحلم بالكابوس وتهشيم الاضطراد الزمنى وما يستتبعه من تفتيت الحدث وتشظيه فى طول الرواية وعمقها . إلى جانب الغموض الشفيف الذى تجلوه لغة متوترة وثابة بقدر وتترك للقارئ مهمة إجلاء الغموض.

أما الغربة فهى الملمح الأبرز فى ديوان الشاعر أحمد فضل شبلول «اسكندرية المهاجرة» وإن كان الشاعر يعكسها بطريقة مختلفة تماما إذ حمل معه مدينته الأثيرة الإسكندرية ، ببحرها ونوارسها وشطآنها وملاحيها وصياديها وناسها الطيبين إلى حيث منفاه الاختيارى فى بلاد الرمل والنفط والشمس الحارقة.

لهذا نجد مفردات الديوان مشبعة بعبق مدينة الاسكندرية خاصة مفردات البحر فاروس، النوارس والمرسى-أبو العباس وغيرها .وهى تلعب دورا مهماً فى استحضار المدينة الغائبة ومحاولة صبغ المدن المفاجئة بلونها ورؤية الناس من خلالها، وهو غالبا ما يفشل فى ذلك.

وتحكى رواية شقة «الهوى والهوان» لإيهاب سلام عن شقة فى شارع الجيش بالقاهرة يسكنها موظف صغير نازح من إحدى قرى محافظة المنوفية . تقدمت به السن وما يزال عازبا لضيق ذات يده اضطر أن يستضيف (خضره) بلدياته المطلقة التى استغنى عنها مخدمها وسرعان ما تحولت العلاقة بينهما إلى معاشرة جنسية فرضتها ظروف وحدته وضعفها أمام الرجال.

لكى يزيد دخله أستأجر ثلاث غرف لثلاثة من الشباب أحدهم من قريته . اثنان منهم نالا (خضره) وثالثهم كان يحمل عقدة قديمة من النساء لأن أمه

تركته وأباه لتتزوج رجلا آخر مضى الزمن وكبر الرجال وخرجوا تباعا من الشقة فاضطرت (خضره) التى أبت إلى الله أن تستثمر النقود القليلة التى ادخرتها فى محل للطعام السريع.

وهكذا تدور الأحداث فى فترة الثمانينات داخل شقة تذكر دائما ببنسيون ميرامار فى واحدة من روائع نجيب محفوظ الخالدة.

وأخيرا فإن القاص رأفت سليم كان قد أصدر مجموعته القصصية الأولى عن المكتبة الحديثة بالفجالة بعنوان« لا مفر» وذلك فى عام ١٩٦٠ ،وخلال هذا العمر الذى يقترب من الأربعين عاما أصدر ثلاث مجموعات قصصية وروايتين لذلك جاءت مجموعته «بكائية للوطن والغربة» نتاج خبرة طويلة مع الكتابة والحياة.

فرائحة الغربة داخل الوطن وخارجه تفوح من كل جمله السريعة المتلاحقة التى تأخذ القارئ معها فى لهاث من أجل الوصول إلى الحقيقة التى -من عجب- لا يصل إليها بشر قط إنها بكائية لهذا الوطن الذى نعشقه بكل تفاصيله الصغيرة ، وللغربة التى كتب علينا جميعا أن نكتوى بنارها ولكنها بكائية واعية ، تحمل من خبرة صاحبها وتمرسه الكثير.

جديد« نزوى»

صدر فى العاصمة العمانية العدد الجديد من مجلة «نزوى» الثقافية الفصلية. واستقبلت «نزوى» التى تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والاعلان ، الألفية الجديدة بعدد حافل ، افتتحه رئيس التحرير الشاعر سيف الرحبى بمجموعة من أحدث قصائده ،عنوانها : البحيرة المسحورة التى غرقت فيها أخيرا.

يدشن دراسات العدد الذى تبدأ به المجلة عامها السادس الناقد هاشم صالح بدراسته : هيجل فى آخر سيرة ذاتية له .فى تلك السيرة الجديدة سنرى- يقول الكاتب -نوعية العلاقة بين هولدرين وهيجل ،وكيف ناضل كل منهما على طريقته ،من أجل المثالية والحرية .أما خليل الشيخ فيكتب عن تجربة الشاعر محمود درويش فى « لماذا تركت الحصان وحيدا » ضمن ما أسماه السيرة فى



إطار الشعر. ويسبر سمير اليوسف العلاقة بين الفلسفة والسياسة عند مارتن هايدجر . ويدرس عيسى بلاطة الشاعر المعاصر أدونيس وما له من علائق بالشاعر العباسى المتنبى ، ليبرز فهم أدونيس للمتنبى من ناحية ومفهومه للحداثة من ناحية أخرى ،مختتما بعرض المبادئ الأساسية لماهية الشعرية العربية فى رأى أدونيس . ويكتب محمد حافظ دياب عن خطاب ما بعد الحداثة بين انحلال الختمى وإغراء المختلف . ويسجل دياب التنبه الباكر منذ نهاية السبعينيات لملامح منسوبة إلى ما بعد الحداثة من قبل بعض المثقفين العرب.. فى علم الاجتماع واللغة والانثروبولوجيا والأدب والفلسفة،وهو ما ظهر فى أعمال عبد الكريم الخطيبى ،وأخيراً لدى الطاهر لبيب حول الصوررولوجية، وأحمد أبو زيد حول رؤية العالم وجابر عصفور حول التناص، وصبرى حافظ حول الحساسية الجديدة ونصر أبو زيد حول التأويل وفيصل دراج حول الحداثة المبدعة .ويقدم الناقد سعيد يقطين دراسته الموسومة : المصطلح السردى العربى ،قضايا واقتراحات،فيما يتناول ميثم الجنانى لعبة الوجدان والحقيقة فى الابداع الصوفى ، أو السماع لحقائق المطلق ، ويختتم محمد مبارك العريمى الدرسات بمداخلة حول مدينة صور العمانية.

وقد احتفت المجلة بمئوية ميلاد الكاتب والشاعر خورخى لويس بورخيس فى ملف كامل ،حكت فى مقدمته الشاعرة مرام المصرى وقائع الاحتفالية التى حضرتها فى بيونس أيرس ،والتى دشنتها الأرجنتين تكريمها لابنها المبدع .أما محمذ آيات لعميم فترجم دراسة بيير ماشيرى: بورخيس والحكاية المتخيلية ،وترجم عبد الرحيم حزل مداخله دومينيك لويزر حول بورخيس والترجمة ،ونقل مزوار الادريسى مقابلة عنوانها: بورخيس شاعر كل المدن أجراها خوان كاسبرينى ،أما مروان حمدان فقد ترجم آراء بورخيس فى المفكر اسبينوز ،واختتم خالد الريسونى الملف بترجمة قصائد من ديوان بورخيس : وله بيونس أيرس.

وقدم الشاعر نورى الجراح مسرحيته : جلجامش يلتقى شاعرا بابليا من تابعية الأمم المتحدة ،وكتبت سهير سلطى التل مسرحيتها : سفر مؤاب ، وترجمت حياة الحويك عطية آراء فاليرى نوفارينا حول المسرح الإصغائى.

من كتاب وشعراء العدد : خيرى شلبى ، يوسف أبو لوز ،محمد شكرى ،حمدة خميس ، ابراهيم عبد المجيد ، فتحى عبد الله ، بهاء الدين الطود ،عدنان الصائغ ، قاسم محمد ، باسل عبد الله الكلاوى، نبيل سبيع ،عالية طالب ،خضر حسن خلف ،فاطمة الكوارى ،نجاة العدوانى ،محمود عوض عبد العال، محمد محمد اللوزى ، عبد الله أخضر ، محمد عضيمة ،محمد بن سيف الرحبى ، بوجمعة أشفرى ،الخطاب المزروعى ،على الصوافى ،والزبير بن بوشتى.

أما فى النصوص المترجمة ،فقد ترجمت صباح الخراط زوين قصائد لأنطونين آرتو ، وترجم المهدى خريف كتاب اللاطمأنينة لفرناندوبيسوا ، وترجم شوقى عبد الأمير للشاعر إرنستو كاردينال ،وترجم بسام حجار للكاتب تنيسى ويليامز .وعن الفارسية قدم إحسان صادق سعيد قصة للروائى هوشنك كلشيرى ،وقدم محمد اللوزى مقاطع من قصيدة آرش صاحب القوس للشاعر سياوش كسرائى.

فى المتابعات قدم الشاعر والناقد محمد على شمس الدين السوريالية الصورية فى بيت شعر للمتنبى ،وعرض وليد صالح الخليفة للرموز الدينية عند السياب، وقدم شريف بموسى عبد القادر قصة الملك شهريار وشهرزاد فى التحليل النفسى ،أما السيرة المقنعة عند خليل النعيمى فقد تناولها محسن جاسم الموسوى فى روايات الغربة ،وقدم مصطفى رجب عرضا لكتاب محيى الدين اللاذقانى : أباء الحداثة العربية .وقدمت منيرة الفاضل مداخلة حول الكاتبة العربية ترجمها عن الانجليزية أشرف أبو اليزيد .أما رسمى أبو على فقد أسهم بمقاربة أولية عن تجربته القصصية،وعرض عبد الرازق الربيعى لدراسة أحمد الدوسرى عن الحداثة الشعرية فى الجزيرة العربية ،وقدم حسن خضر مداخلة حول ديوان أنثى الماء للشاعرة آمال موسى ،وكتب أكرم قطريب عن الشاعر لقمان ديركى، واختتم المتابعات يوسف وهيب بالدراما النسوية.

أمية العرب

«الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية» الكتاب الأول لأحمد الأحمدين وصدر عن دار الحضارة العربية ، ويقع فى ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط ،

يحاول من خلاله زلزلة بعض المفاهيم المستقرة فى الوجدان الجمعى مثل أن عرب الجاهلية لم يكونوا يقرأون أو يكتبون ، ثم يحاول بعد ذلك تفنيد آراء من يصورون أن العرب كانوا على هذا النحو من الأمية ، عازيا ذلك التصور إلى وقوف أولئك الكتاب عند ظاهر الألفاظ التى تحدثت عن العرب وصفتهم بالأمية.

سيلفيان دوبوى

بالتعاون بين المجلس الأعلى للثقافة والمؤسسة الثقافية السويسرية «بروهلفيسيا» نظم الأخير ندوة للشاعرة السويسرية سيلفيان دوبوى فى ٢٦ فبراير الماضى ، بمناسبة صدور مختارات شعرية للشاعرة قام بترجمتها أحمد الدوسرى وراجعها د. شارل جونكو، وصدرت عن دار «أزمنة» للنشر والتوزيع.

وتعد الشاعرة من أبرز الأصوات الشعرية فى سويسرا النورماندية فى الوقت الحاضر ، وأكثرها حضوراً وحصولا على جوائز أدبية مرموقة من بينها جائزة «راموز» فى الشعر لعام ١٩٨٦ عن مجموعتها الشعرية «حفر الليل».

تمتاز قصائدها بالتركيز الشديد مع طاقة إيحائية هائلة يكتنزها التركيب اللغوى الصعب والفذ فى الحين نفسه ، بالاضافة إلى كونها كاتبة متميزة فى المسرح والأدب وتحظى باهتمام كبير من قبل الأوساط الثقافية والاعلامية فى سويسرا، وهى محط أنظار المحافل الشعرية الدولية لاسيما الفرانكفونية منها. إلى جانب ذلك فهى صاحبة آراء سياسية وثقافية جريئة ومن أبرز أولوياتها: الانفتاح على الآخر ومحاولة فهمه ومحاربة كل أنواع العنصرية الحضارية والثقافية، وهى لا تخفى إعجابها بالشرق عموماً وتأثرها بالحركة الشعرية العربية الصوفية.

من قصائدها نختار قصيدة «ركام العروش»:

عند أرجلنا هذا الركام من العروش
الوقت المكدّس تحت رخام القباب
والصخب الجهنمى.
هناك أدرى أن نهراً



يجرف الشموس والطين
تحت جسر مغربل من الملائكة
لكن ماذا بوسعى أن أفعل بالخالد
أنضم أعلى من الهواء
هذا الغبار الأسود من الأجنحة
النازحة

صبحى جريس الفارس المستنير

عن مكتبة الأنجلو المصرية صدر كتاب «صبحى جريس: الفارس المستنير» والكتاب عبارة عن مقالات كتبها أصدقاء المرحوم صبحى جريس صاحب مكتبة الأنجلو بمناسبة تأبينه .يفيض الكتاب بمعانى الوفاء والمحبة للراحل سواء من كبار الكتاب الذين كان هو ناشرهم المفضل أم من العاملين فى المكتبة.

والراحل صبحى جريس واحد من الذين عملوا فى صناعة الكتاب فى مصر والوطن العربى ،فقد قام فى حياته بنشر العلم والثقافة والفكر على مدى ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن من الزمان وقدم كثيرا من علماء مصر ومفكريها ومثقفيها الذين قدمتهم أعمالهم العلمية بدورهم إلى طلاب العلم والمثقفين والمفكرين العرب وهو أول من قدم الفيلسوف الاسلامى محمد إقبال إلى أبناء اللغة العربية.

الفيلق : أمين عز الدين

عن دار الفسطاط للدراسات صدرت رواية الفيلق للمفكر العمالى الشهير أمين عز الدين .وهو فى كتابته الروائية تشغله نفس الهموم التى أرقته وشغلته من قبل وجعلته يعكف على قضايا الطبقة العاملة والنقابات فى ثلاثة كتب مهمة هى: شخصيات ومراحل عمالية » عام ١٩٧٠ ، ثم تاريخ الطبقة العاملة المصرية» عام ١٩٨٧ وأخيرا «تاريخ الحركة النقابية لعمال النسيج» عام ١٩٩٤.

فى الفيلق يقدم أمين عز الدين للرواية المصرية مناطق زمنية وإنسانية


الفيلق
رواية

جديدة غير مطروقة من قبل فيثير قضية الفلاحين المصريين الذين كانوا دوما وقودا لمختلف الحروب التى لا صالح لهم فيها .

يصف المؤلف فى روايته حال الفلاح المصرى الذى تنتزعه السلطة وترغمه على العمل فى صفوف الجيش الانجليزى أثناء الحرب العالمية الأولى.

أم الدنيـــا

عن سلسلة كتاب الجمهورية صدر للدكتورة غزة بدر كتاب «أم الدنيا» وهو عبارة عن صور قلمية فى وصف القاهرة والناس يقع الكتاب فى ٢٧٥ صفحة من القطع الصغير.

الكتاب يتناول العديد من الموضوعات الحية والحيوية التى نتعامل معها ولا نقف أمامها طويلا بحكم الاعتياد ، لكن قلم عزة بدر يعيد إلينا هذه الموضوعات بشكل فنى جميل يجعلنا كأننا نعرفها للمرة الأولى وذلك شأن الصور القلمية ، ذلك الفن الذى يجب أن يعاد إليه الاعتبار ،وهو الفن الذى يجعل من الذات فى تفاعلها مع الموضوع هى الحكم والمعيار ،والرؤية الذاتية هنا تصبح هى الرؤية الأكثر صفاء واعتباراً.

عز الدين المناصرة يهاجم قصيدة النثر

عن بيت الشعر فى فلسطين صدر كتاب قصيدة «النثر المرجعية والشعارات» ..جنس كتابى خنثى (الإطار النظرى) للكاتب والشاعر عز الدين المناصرة.

فى هذا الكتاب يخرج المناصرة من السجال الصحفى باتجاه المناقشة الغلمية الدقيقة لمعظم الأفكار السائدة ،حول قصيدة النثر ،وهو يلاحظ أن إعادة الاعتبار لقصيدة النثر جاء منذ العام ١٩٨٥مع أن روادها نشروا قصائدهم النثرية فى الخمسينيات والستينيات ،وهو يستنتج أن ازدهار قصيدة النثر جاء متلازما مع أفكار وثقافة النظام العالمى الجديد فى إطار قصيدة العولمة.وهى أفكار -كما ترى - تحتاج إلى مناقشة كثيرة سوف نقف أمها طويلا .

مديحة أبو زيد : بعد منتصف الليل

زائر بعد منتصف الليل ، الرواية الحائزة على جائزة نادى القصة للأديبة مديحة أبو زيد، صدرت أخيرا عن مطبوعات الفجر.

الرواية هى العمل الروائى الأول للمؤلفة ، وقد جاء ناضجا بالقدر الكافى لأديبة جديدة ، يصور أزمة فتاة معاصرة نتيجة للفقر والضياع الاجتماعى ،والبطلة هى ذاتها الراوية ، ويظهر بوضوح انشغال الكاتبة بالقضايا الإنسانية وخروجها من دائرة آلام المرأة الأنثى ، لتسجل إضافة إلى الأدب النسائى المعاصر.

سنوات الورد والرماد

الديوان الأول للشاعر محمد فياض «سنوات الورد والرماد» صدر عن شركة كيرمر للطباعة والنشر والإعلان ، يحتوى الديوان على١٨ قصيدة متراوحة الطول ، تتسم قصائد الديوان بروح المفارقة والتمرد ، ويكاد يكون التمرد هو السمة الأساسية فى قصائد الديوان ،إذ يأخذ أبعاداً شتى تتسم بموضوعية فنية مدركة ،ومفاهيم لغوية متمكنة وصور أدبية مغايرة وأحاسيس شعرية مرهفة.

ترميمات على المقرى

عن الهيئة العامة للكتاب فى اليمن صدر الديوان الثانى للشاعر على المغربى بعنوان ترميمات ، الديوان مكتوب فى الفترة من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٦ ونشرت قصائده فى الفترة نفسها فى المجلات والصحف العربية مثل: اليمن الجديد والحكمة ، وأصوات والثقافة والفصول الأربعة وغيرها.

يعتمد الديوان على المشهدية والتكثيف بما يعنيه ذلك من اكتناز لغوى وثراء وجدانى وفكرى ، ويعتبر هذا الديوان نافذة يمكن للمتابع أن يطل منها على آخر تطورات الشعر الجديد فى اليمن ، فمنه يمكننا أن نرى أن الشعراء هناك والشعر كذلك مشغول باليومى والحياتى الذى يتخذ الذات فى تفاعلها مع العالم منطلقاً للكتابة ورؤية العالم.



تـواصـل

نعود – من هذا العدد – إلى إعطاء الاهتمام البالغ لبابنا الجميل« تواصل »، الذى نتواصل فيه مع أصدقاء « أدب ونقد » من مبدعين شباب وطامحين إلى مكانة فى العالم الساحر للأدب . ونعد أصدقاءنا أن تظل مساحة هذا " التواصل" متسعة ، وأن تزداد اتساعاً عددا بعد عدد.

وسوف يلحظ القارئ المحترف أو الناقد المتخصص ، أن بعض هذه النصوص قد يعانى مما تعانيه كل بداية لكل مبدع : قليل (أو كثير) من ضعف السيطرة على الأداة الأولى فى الكتابة ، وهى اللغة . أو تكرار وإطناب يؤثران على كثافة النص وانضباطه . أو اقتفاء خطى بعض الرواد بما يضعف تميز صوت المبدع . أو اللجوء إلى" موضوعات" مطروقة مسبوقة ، بما يقلل مساحة الابتكار والرؤى الجديدة.

لكن كل ذلك لاينفى أبداً الروح الطازجة ، والطموح الحار ، والنفس المتشوقة ، وبوادر النضج ، التى يمكن أن نلاحظها بوضوح فى هذه النصوص ، التى ننشرها لكى نقول لأصحابها : نحن معكم ، متواصلون ، ندعمكم ، وندفعكم ، ونثق فى أن الكثيرين منكم سيكونون فى وقت قريب قامات مميزة فى ساحة الأدب.

«التحرير»

شعر

أيتها الرياح المباركة متى تأتين

أحمد سلامة

جَمُدَ الشِّعرُ فى فكرى
وتاه القصيد
وأورق الحزنُ حزناً
بعمرٍ جديد ..
أيتها الأحزان الصخرية
من أى زمان جئت
تجمعين الماضى بالحاضر
فى رجفة عُمر
تحملين معك أحلاماً
مَنسيَّةْ
مليئةً بأسئلةٍ حيرى..
هل هذا زمانُ التردى
أم أنه جيلُ النذالة
والعمالة
والخيانة..
فيأيتها الرياح المباركة
أآتية أنت
لتكنسى هذا العفن
وتنقى الطرقات
وتعيدى للصيف
النّدى
وللأطفال
البسمات .
أآتية أنت ..؟
أآتية ..؟
أخاف أن يكون

انتظارى عقيماً
وحزنى مقيما ..

شعر

الحد الفاصل بين السماء وأناملكِ المتألمة

عبد السلام صبحى

(١)

أخرج من نافذتى صباحاً
أراكِ عاريةً تماماً
كالحقيقة
تستحمين فى مسك وعسل
تغمسين جسمك
الزبدى
فى قلل
تستعدين الآن
أن تدورى فى الأفلاك السبعة
تتركين ذكرى أناملك الصغرى
تنتشلين جثث العالم الغرقى
فى ملكوت العفن
تحطمين أصنام الشهوه
تاركةً وراءك جيشا
من حطام

(٢)

ماذا
لو تركتِ لى

أناملك قليلاً
كى أعبث بها
ثم أقول: وداعاً

(٣)

هيا لنلتحم
فى مواجهة جبروت الذكرى
ورب الجنود
يسبح بين جماجمه
كى يعلن صهوته الكبرى
(من النيل إلى الفرات)

(٤)

كم تبقى لنا
ماذا تبقى لنا
كم شهيد يحمل طمع الموت
يحمل ذكرى السيف
صاعداً باسماً
إلى حتفه
دوماً
دون عناء

قصة

العربات تصعد فوق الأرصفة

ثريا السيد على

صوت راديو الجيران الهادر يأتيها من خلف شرفها المستمر .. والشمس تغادر السماء .... الخامسة تماما .. وأم كلثوم تحيا داخلها .. تلمع كنجمة أحادية .. تحلم معها« خلينى جنبك خلينى فى حضن قلبك خلينى وسيبنى أحلم سيبنى ياريت زمانى ياريت زمانى مايصحنيش»

فى ذلك المساء أخبرها زوجها

- أنا نادم أننى تزوجتك .. أنت أسوأ زوجة على الاطلاق .. لاأمل فيك

صوت الطفلة الباكية ينقذها من صدمة الألم .. حضنت ابنتها وصمتت ، لم تعرف السبب رغم أنها تفعل كل ماتستطيعه كىْ يرضى عنها .. صمتت

ابتسمت بعمق شديد وألم .. لما شكت لها جارتها من سوء معاملة زوجها الدائم لها .. وحسدتها على علاقتها الجميلة بزوجها التى تبدو لها .. فهى لاتشكو منه أبداً لأحد .. لأنه كما أخبرتها أروع زوج على الاطلاق .. وتمنت لها زيادة سعادتهما ، أما هى فتمنت لجارتها أن يهدى الله زوجها لها ..

ابتسمت بعمق شديد وألم حين فاجأتها آلام الولادة .. لم تشك أبداً وهى تتحامل على نفسها حتى لايستمع أحد لأنينها وحين سألتها حماتها عما تشعر به أخبرتها بابتسامة عميقة شديدة التأثر أنه مغص قوى .. مازالت الولادة مبكرة .. ينبغى أن تبقى إلى الصباح .. وحين وجدت ماء ينساب منها ودماء غزيرة عرفت أنها الولادة.

فى طريقهم إلى المستشفى .. السيارة تسير ببطء شديد .. أمسك زوجها يدها .. ضغطت بكلتا يديها .. فأخبرها بابتسامة.

- لم أعرف أنك قوية كل هذه القوة
- قوية
ابتسمت بعمق شديد وألم وسخرية
- قوية جداً.
كادت تطير من الفرحة حين عرفت أن المولود ولد وليس بنتاً .. لن تظلمه الحياة كما ظلمتها .. وسيأخذ حقه فى الحياة ثالث ومثلث وكل أنواع الأشكال الهندسية التى عرفتها .
فى الصباح .. حتى العصافير تزقزق لها .. حتى النجوم فى السماء تصادقها من أول نافذة لأول نجمة فى أى ساعة هى صديقتها .. حتى المياه فى الزجاجات وفى البحور .. وفى الأنهار .. تصفو لها .. تمنت أن تكون سمكة .. المكان الوحيدة الذى ينسيها أحزانها .. هو المكان الذى به مياه كثيرة .. تعود فيه طفلة صغيرة تلعب بالمياه وتنسى الوقت .. والحزن الدائم .. وزوجها الدائم التذمر.
فى الصباح سألتها جارتها عن سر عينيها المتورمتين .. والسواد الذى يلفهما ابتسمت فى ألم ،أخبرتها .. بأن الولد لاينام كما ينبغى ، ينام فى الوقت الذى تصنع فيه الطعام .. ويسهر طوال الليل.
دائرة متكررة .. تذهب إلى العمل .. تعود إلى الحضانة .. تأخذ" بسمة" ابنتها البالغة من العمر أربعة أعوام .. وتأخذ " عمر" البالغ من العمر عامين تعود إلى المنزل وفى الطريق تشترى من السوق كل أنواع الأطعمة التى يحتاجها المنزل .. وهى تحمل ابنها ومنتبهة إلى ابنتها الصغيرة بسمة وعلى كتفها الحقيبة المليئة باحتياجات المنزل .. تشبه نفسها بابتسامة عميقة شديدة التأثر .. مثل حمار يحمل أثقالاً ..
تسمع جارتها من البيت المجاور تتهامس مع الأخريات بحسد وحقد
- دائما أراها " شايلة ومشيلة"
تمر الأيام والشهور والسنين .. تتكلم قليلاً وتبتسم بعمق كثيراً حتى تظهر تواجدها .. لكن من يحدق بالعينين يجد أن مياه الحياة والبهجة تذهب بعيداً، دائما تحسب كم يكلف يومهم فى هذا العالم؟ .. من خبز وطعام وكساء .. تعمل كخبيرة اقتصادية فى أفضل الطرق فى الغذاء فى ميزانية المنزل ، تتعب من الحسابات فشهريا لم يعد راتبها وراتب زوجها يصلح .. ويومياً أيضاً لايصلح ولكنه معها بالكاد يصلح.
ذات صباح .. أخبرها زوجها .. أنه أصبح لايطيقها .. وأخبرته أنها لاتطيقه ولا تطيق الحياة معه .. هددها بالطلاق .. أخبرته أنها تنتظره على أحر من الجمر أمسك نفسه من أجل الأطفال وذهب تاركا اياها تبحث فى عيون الأهل الغائبين .. الأم الميتة والأب الميت .. فى عيون الزميلات فى العمل والأصدقاء والأخوة التائهين فى الحياة عن شقة بايجار ضعيف حتى غرفة .. تهرب فيها بأولادها .. من هذا الذى أصبحت ترى فى عينيه كل يوم احتقاراً ينمو

مع الزمن .. لها .. وحدها.

أصبحت متوترة .. ترى نفسها مهزوزة الثقة .. نجح زوجها فى ابعادها عن اخوتها .. وأخيها الوحيد.. وأصدقائهم المشتركين حتى تصل فى النهاية لتلك الدرجة من التعاسة والبؤس.

يداها ترتجفان وهى تحمل ابنها الصغير وفى يدها الأخرى ذراع ابنتها بسمة تجذبها .. لتذهب فى صباح لايعلم به الا الله إلى الحضانة وبعدها إلى عملها تقف على الرصيف تستعد لتعبر الطريق .. تنزل ابنها الصغير عمر من على يدها على الأرض كى ترتاح قليلاً .

تصرخ بسمة

-ماما السيارة احترسى

تبتسم وهى تمسك نفسها من التأثر

-لاتخشى شيئاً يابسمة العربات لاتصعد فوق الأرصفة

تدوس عليها العربة بسرعة رهيبة فوق الرصيف

تشد بسمة أخاها عمر .. بعيداً وهى تصرخ .. تذهب العربة مسرعة . يتجمع المارة .. تراهم حولها ودماء غزيرة تنساب فوق عينيها

- ابحثوا عن حقيبتى فيها العنوان .. فيها كل شئ عن بسمة وعمر. ثم تبتسم للمرة الأولى منذ سنوات طويلة .. طويلة .. ابتسامة عادية .. دون عمق .. دون تأثر .. دون ألم .. ثم تشعر بارتياح شديد.

قصة

يالها من أيام.. الأيام الخوالى

محمد ممدوح على

نقولها .. نتصور أنفسنا فى برواز من اللونين الأبيض والأسود على هيئة مربعات متناسقة ومتجانسة ، كنقوش بناطيل المهرجين.

نقولها ونتصور فوق رؤوسنا دائرة نور الشهداء.

- يرحمنا الله لقد استشهدنا - ونظن حينها فى بعض من الولاء . للنرجسية ، إن قصصنا ستحكى كقصص القديس (كمن قتل منهم التنين - عندما كان يمشى وقابله صدفة - لمجرد أنه يثير رعب أميرة جميلة) . انتماؤنا حينها سيكون لأنفسنا فقط وللرواة المفروض عليهم طبقاً لقواعد الحكى أن ينظموا قدراً لابأس به من المبالغات والمعارك الوهمية والزخارف التى يتعلق بعضها باللغة والآخر بالأحداث - هذا حسن ظننا فيهم - يعلم الله بخبايا القلوب - ربك رب قلوب؟!

نتوقف عن الأكل تماماً ، ونتمنى دوراً أو مشهداً فى احدى المسلسلات الدرامية ، وفى ذراعنا الهزيل أمبوب رفيع جداً - كذراعنا - تتصل بكيس من(الجلوكوز).

الأمر المقلق لو هرب من الأطباء الشريان الموجود فى الذراع - سيضطرون لغرزه فى الآخر الموجود

فى الرأس، جميل سيكون منظرك كـ (إى . تى) . ستصاب بنوبة من الصداع تعوقك عن الأحلام نهائياً أو على أقل تقدير تعوقك عن تذكرها .

تبدو رائعاً والكل من حولك ينتظر .. رمشة العين .. ترديد اللسان لأقرب اسم من قلبك . لن سيكون وقتها ولاؤك؟ لأى اسم؟

اعتقد أن الأمر على قدر كبير من الصعوبة وأنت مغشى عليك .

سيبرر الطبيب الذى لن يزورنا كثيراً أنه لم ير مريضا هكذا من قبل ، يستيقظ وهو يضحك ولاأحد يعرف لم؟ أو على وجهه دموع قليلة غاية فى السذاجة الكلاسيكية.

فتياتنا يستيقظن من النوم وقلوبهن منقبضة .. يسألن عن أحوالنا وقد يشترين بنقودهن الخاصة وروداً .. ويزرننا .. يتكلمن فى أمور لايهمنا أن نذكرها أو حتى نسمعها ، فلا نستيقظ وينصرفن.

– لما يصحى قلولوا إنى جيت علشان أشوفه ..

وأمور أخرى تطاردها " فيك الخير يابنتى" حتى تصدم بالباب بعد أن يغلق خلفها مباشرة.

قد لانمكث كثيراً على هذه الحالة .. مما يدعو للخير. ينمو داخلنا إحساس أننا سنموت مبكراً ، نتعامل مع المرضين والممرضات على أساس أنهم ملائكة وأرواح السلف من الميتين ، أو ربما تقديراً لجهوداتنا الجبارة سنكون نحن من المختارين ليتم إجراء التجارب علينا فى سفن الفضاء التى نشاهدها فى الأفلام الأمريكية . الكل يتحرك حولنا فى انتظام ..

سنكون الوصلة بين البشرية ورواد الكواكب الأخرى فى تجاوب آخر مع الفعل التطوعى..

شعر

بستان التباريح

أشرف الخطيب

حين يموء الصحو
فى جنباتك أمى
أشدو .. أرقى .. للوجع المسافر
شئ ممتد مابينى وبينك
يدخلنى فى سديم البزوغ
خلقا ربانيا
أفقد الجاذبية فى مدارك..
وأقف على رأسى مزويا
وصرخة غضة
فى قبضة الريح تتأوه
تنفلت طقوسا
للعرى القادم ..
هاقد حان موعدنا
تحت أشجار العطايا..
ينبوع من صفو نهديك
يملأ قواريرى
ويولج الشموس المرهفات
لأفواه الأنامل..
الحكايات تضمد هشيمى

تربت على ظلي
لانام في ثنايا العمر ..
حتى إذا ماشب
في غابات البلوغ خصري
وخطت يداك
في قيظ ملامحي فتنة البقاء..
آوت الفراشات الى مكامني
تجردني من رحيقي المعبق بالحياء
فتراني ألقى في جيد الأرض..
غرساً جديداً..
لأكتشف سر افتتان
الجذور بالثمار..
ماأيقنت حتى أردفت
أطيافي تواقة
إلى حنانك أمي
تنفض عن راحتيك
وهن السنين ..
تنثر ماتبقى من رحيق الزمن اليانع
في الشرايين .. وتشيد أعواد الندى
في عيون النوافذ الذابلة
أماه لاتقولي راحلة
على مرفأ الأوجاع أتينا
وعلى متن الاحتواء
نرحل معا.

شعر

مقاطع من سيرة أسماء

حساني عثمان اسماعيل (قوص)

أسماء تسحق الخوف
في قلوب المرجفين
تذروه في عيون الغوائل
أسماء تفل البهجة
من عيون الشامتين
توزع حزنها بين القبائل
هكذا أسماء كانت
تحت خيمة قلبها
يستظل المتعبون
كانت تلهو مع الشمس
تسدل فوق لوعتها الجفون
وتكحل عينيها بالصفاء
تعقص جدائلها .. خلفها حربتان
كان في حجرها يستريح القمر
والعصافير فوق كتفيها تنام
كانت أسماء .. تحيك الخطى
معابر للشموخ ..
وتنثر الملح فوق الجروح
تشغل من رقرقات الدموع
صولجانات الضياء ..
كان الزبير يغار
الزبير كان حكيما . يتزيا بالوقار
ولكنها بالأمس بس
نفضت أسماء عن قلبها أسراب عشاقها
وتصدرت شاشة التلفاز صورة عرسها
وكروش المدعوين
نسخت كل ايات العناد
أسماء تبيع نطاقها في المزاد
وغداً ستبيع أشلاء الفؤاد
لافرق بين بيع التوابل
وبيع إشراقات الصباح
أكملت أسماء في التيه أربعينا
فاعتكفت الشمس خلف الغمام
وتقرحت عين القمر
تثاءب الحزن في عش اليمام

تشظت فى مراياها الصور
هذا زمان الذبح بالصمت
قد ضفرت فيه المسائل
هذا زمان كفت فيه القوابل
عن اختتان المواليد الجدد
فانهم يولدون بلا أجهزة
الطبيعة قد بدلت من نهجها
والوراثة أفصحت عن عجزها
ولهذا فكل شئ مستباح
والعشق القديم قد نحاه اللدد
والعاشقون حول أضرحة الولاه
يرفعون أكفهم بالدعاء
عله يأتى المدد.

شعر

إنى صليت.. عليك

مدحت علام

الأرض تفارق مثواها
وسماؤك تبحث عن غيرك
خذ حذرك ..
من وجهك حين يطل عليك من النافذة
الق بكتابك فوق الأرض وعد
من حيث أتيت
عد لسماوات هجرتك سنين
عد .. من نطفتك الملصوقة
فوق متون الأرض
واسبق أحداثك
مازال بعمرك بعض رمق
* * *
إنى صليت عليك
صليت على الوهج المتساقط –
من جسدك
عضواً .. عضواً
ألق بحماقتك المخلوقة
فى جسد إمرأة..
مارست قبيل النشأة فى حيرتها الغفران ..
وعرفت بأن هى الزقدر من نارك
فى إشعال قناديلك
هى من كنتَ على الأرجح .. تسكنها
وتنام على مخدعها ..
وإذا حضَرتْ كنتَ تناولها وصلك
كنت تخاف على رتق محبتها،
أن يفتقه التوهان .
كنت تخالف أوجاعك
وتجاذبها أطراف الليل الدافق–
منذ نبوءتك
ونشوء الدفء الطاعن فى العصيان
* * *
ولم لاترقص فوق وسائد بهجتها ..؟
ولم لاتفنى فوق مشاهد رحمتها ..؟
ولم تتجاوز فرحتها ..؟
وتذوب ..
تغيب – تعود إلى ..
مثواك .
إنّا أعطيناك مفاتنها
ووهبناك نيازك قدرتها
وعلمنا أنه
مازال بعمرك بعض رمق.

قصة قصيرة

كلـــــب

عصام الدين محمد أحمد

أمتطى الدرب الخريفى ..
الشمس مجمرة .. البيوت ممصوصة الدماء ..
أرنو إلى الكلاب متوجساً ..
تلهو أمام دوار العمدة المحدود بطرفى القرية القبلى والبحرى ..
تحفر أرض الظلال ..
تستشعر خطوى الوئيد ..
دقات قلبى تطغى على حركتى ..
يتغول الكلب الأسود..
يشب .. القطيع ينتبه ..
أجرى .. يتلاطم قفصى الصدرى ..
يطير .. يلحق ببنطلونى ..
يتمزع البنطلون ..
ينفتح باب مهول مضفر بالصاج ..
تسحبنى الأيادى المغزولة بالعظام ..
ينغلق بمزلاج الخشب الثقيل..
شتاتى لم يتجمع ..
تنزع العجوز أطلال البنطلون ..
تتمتم بالحمد واللهفة ..
تضمنى إلى صدرها الجاف ..
حبات عقدها تزملنى ..
ترش وجهى بمياه القلة..
تلعن إهمال نساء آخر الزمان ..
صوت دائخ يفيق من الداخل :
– حمام يمسك الطوبة كالجن المُصَوّر ..
يهوش .. الكلب يفر ..
يقذف .. الدم ينفجر ..
وأنت ابن مدينة !!
تلبسنى جلبابا مخططا .. تنزف :
– ياكبد أمك عليك!!
تصرخ فى شحط :
– يامقصوف الرقبة سلمه لعمك الشيخ .
الكلب مرابض على الباب.
أجزع ..
يصيح فى وجهى :
– لاتخف .
يتمسح الكلب بذيل جلبابه ..
تزجره العجوز ..
يأمر الكلب بالانصراف ..
الدور مترنحة .. تسوخ قدماى فى إبليز الترعة ..؟
ألتقط أعواد الحطب .. أحتفظ بالخضراء .
شوب الرياح والصهد ينفرنى الجسد
لم يمهله الشيخ .. إلى العمدة يهرول
يشتكى جور الكلاب ..
يرطب العمدة جوفه بمعسول الكلام..



أنفلت مُن يد أبى..

وفى الخور نستبدل عارضتى المرمى بالصخور..

أرواغ.. تهتف الحناجر..

تنثال الأهداف .. يغتاط حمام..

يصفر صفيرا متقطعاً..

يركض الكلب هائجاً..

فى فزعى أتعثر..

أنط شواهد القبور

تزمنا الصحراء..

أهيل صخر الجبل..

أوارى جثمانه..

أرتمى باكياً..

يختبر مشوار العودة انهيارى..

وفى الليل صخب السكون بالنباح..

تواترت الطلقات..

تتلجلج الدكة بثقلى المرتعش..

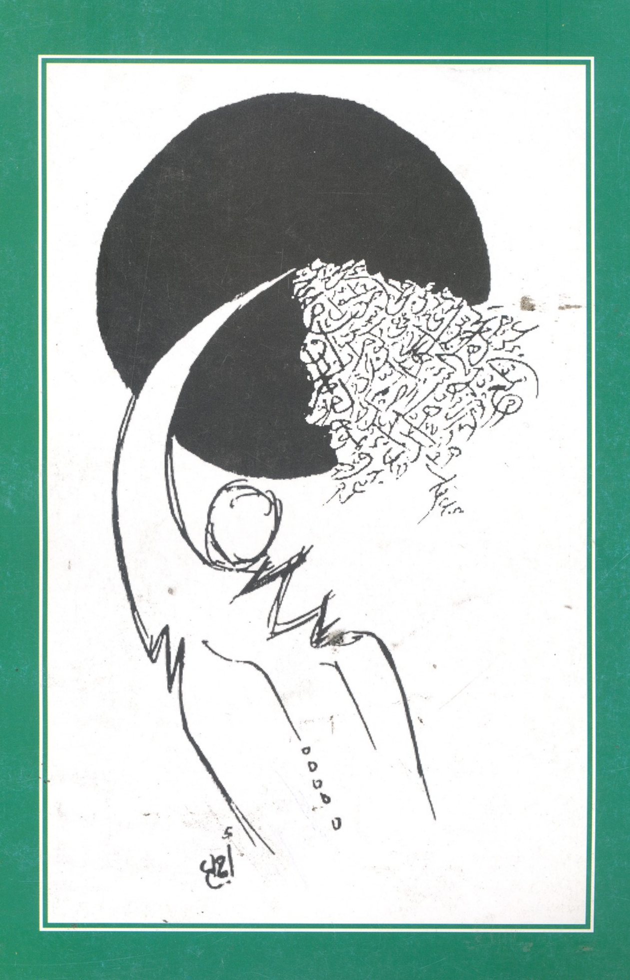
وتحت اللحاف يتفصد جبينى صقيعاً..

يستطيل الليل .. ولا نوم

ليس فى الخارج سوى زعيق الخفراء.

سكنت الطلقات

ولم تسكن الكلاب.



رقم الايداع ٩٢/٧٥١٢ الثمن جنيهان الأمل للطباعة والنشر